الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص : حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـــــ:

الاستشراق دوافعه ومراحله
وعلاقة المدرسة الفرنسية بالثقافة العربية

إعداد الطالبان :

- شلحي محمد
- ملياني صوافي

تحت إشراف:

أ.د/ أحمد طالب

السنـــــــة الجامعيـــــــة:

1434 – 1435هـــ/ 2013 –2014م

الدعـــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

ربي لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا أصاب باليأس
إذا فشلت بل ذكرني دائما بأن الفشل هو التجارب التي
تسبق النجاح

يا رب علمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة و أن
حب الإنتقام هو أول مظاهر العنف

يا رب إذا جردتني من المال أترك لي الأمل و إذا جردتني
من النجاح أترك لي قوة العناد حتى أتغلب على الفشل

و إذا جردتني من نعمة الصحة أترك لي نعمة الإيمان

يا رب إن أسأت إلى الناس أعطني شجاعة الاعتذار

و إذا أساء الناس إلي أعطني شجاعة العفو

إهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا و الصلاة و السلام على نبينا المختار، محمد صلى الله عليه و سلم و على اله و أصحابه أجمعين .

قال الله تعالى: « و لا تقل لهما أف و لا تنهرهما و قل لهما قولا كريما » .

إلى أغلى امرأة في الوجود إلى قرة عيني، إلى نبع الحنان و بر الأمان إلى بسمة الحياة ، إلى رمز الوفاء و العطاء أمي الحبيبة

إلى شمعة حياتي و قنديل دربي و ضياء هيامي ، من عهدته دوما صامدا و على الدنيا مقبلا و للرب حامدا شاكرا . إلى منبع الرجولة و الشهامة أبي العزيز أطال الله في عمره .

إلى من كانوا لي عونا و سندا في هذه الحياة و ملئوا علي البيت فرحا و سرورا إخوتي وعائلة أخي الصغيرة " محمدأمين "

إلى من جمعتني بهم دروب الدراسة محمد دالي ، دراز محمد صغير، كرازي سفيان، عبوط محمد، دردق محمد.

إلى كل من نساهم قلمي ولم ينسإهم قلبي .

صوافي ملياني

إهداء

لك الحمد ربي على عظيم فضلك وكثير عطائك.

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما

،إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما،إلى أنقى وأطهر

نسيمين طاب ريحهما

إلى من أشرقت بسماتها نجاحاتي ،والتأمت بدمعاتها آهاتي،إلى من

منحتني الأمان والوفاء وحب الحياة،إلى فضاء المحبة ينبوع الحنان

ريحانة الدنيا وبهجتها: أمي الغالية

إلى روح أبي الطاهرة

إلى الأعمدة التي أظل أرتكز عليها للصمود إخوتي

إلى كل الأصدقاء والأحباب " محمد صغير دراز، بلغربي زكرياء،

كمال، دردق محمد، قديم زهير،....

إلى من كان الجسر الذي أوصلني إلى بر الأمان" مصطفى جنان "

إلى أبناء أختي " رياض وإسماعيل "

محمـــــــــــــــد

الشكـــــــــــــــــر

للهم لك الحمد والشكر حتى ترضى لك الشكر إذا رضيت نحمدك ونشكرك على إعانتك لنا وتوقيفك في إنجاز هذا العمل قال تعالى: "ولأن شكرتم لأزيدنكم"

نتقدم بفائق الشكر والتقدير للأستاذ المؤطر: **"أحمد طالب"**على نصائحه وتوجيهاته القيمة

التي لا يسعنا إلا أن نتقدم له بأسمى معاني الامتنان على صنعه وجليل ما قدمه لنا

وفي الأخير نرجوا من الله عز وجل أن يكون هذا العمل المتواضع مرجعا ذا فائدة لإخواننا الطلبة واخواتنا الطالبات ونسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا إنه ولي ذلك والقادر عليه

وشكرا أمدكم الله بالخير

منذ أن ظهر الاستشراق في الثقافات العربية و الكلام مستمر، حتّى وصل هذا الكلام إلى جدال حول معناه ونشأته وعن دوافعه وأكثر من ذلك عن منافعه ومضاره، أو بالأحرى هل كان دور الاستشراق علميًّا بحثًا أم غير ذلك؟. هل كان الاستشراق ولا يزال أحد أسلحة الاستعمار والإمبريالية الغربية في بسط سيطرتها على الشرق و العالم العربي؟.

تساؤلات كثُر البحث والتأليف فيها للوصول إلى إجابة تقنع الباحث و الدارس لموضوع الاستشراق، وبعد أن كان الجدل المعرفي العلمي محصورًا في هذه التساؤلات السالفة الذكر أصبح في عصرنا متجها نحو إشكالية أخرى هي:

هل مازال الاستشراق موجودًا محتفظا بفاعليته وقوته؟ وهل إستنفد أغراضه كلها؟ هل انتهى زمنه أم أنه ببساطة غير جلدته دون تغيير جوهره ليتماشى وروح العصر؟ .

إذنْ لا يزال البحث و الدراسة متواصلة ومستمرة حول هوية الاستشراق قديمًا وحديثا ومحاولة ردم الهوة أحيانا بيننا نحن العرب والغرب، وبالتالي يظهر لنا مدى حساسية الموضوع الذي درسه الكثير من أبناء أمتنا من جوانب عدّة، عالجوا فيها حضور الاستشراق كعلم من ناحية، وكمؤسسةٍ من ناحيةٍ أخرى.

لابد من القولْ أنّ البحث في مجال الاستشراق سواءً كان ذلك تاريخيًا أو سياسيًا أو معرفيًا يشبه المغامرة في نصبها ومتعتها. وقد ارتأينا أن يكون موضوع مذكرتنا هذه حول " **الاستشراق دوافعه ومراحله وعلاقة المدرسة الفرنسية بالثقافة العربية**"

دوافع إختيار الموضوع:

دفعتنا أسباب كثيرة لاختيار هذا الموضوع، لعّل على رأسها جاذبيته وإغراؤه، وأهميته الكبيرة، فهو موضوع جدّي وقوي، وله جذور تمتد مئات السّنين في تاريخ العلاقة بين العالم الغربي و العالم العربي الإسلامي عامة و الشرق خاصة، علاقة لطالما استمت بأحكام مسبقة وآراء متطرفة من الجانبين، ضف إلى ذلك أنّنا نبحث ونريد أن نعرف مناطق الالتقاء و التّفرق بين حضارتين وثقافتين مختلفتين في الأصول و العادات الثوابت. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الموضوع يطرح مشكلة حقيقية في نظرة كل طرف إلى الآخر.

وكذا دوافع خاصة هي حب المعرفة و التطلّع على كذا مواضيع شيقة ولها فائدة علمية كبيرة بالنسبة للطالب و الباحث وكذا معرفة الخطأ و الصواب و التّحقق من صحة المعلومات المطروحة في الواقع.

ومن بين أهم المصادر التي استعنا بها في بحثنا هذا نجد كتاب " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر" للمؤلف أحمد سمايلوفيتش، الذي يعد بحق جهدًا علميًا رائعًا، وكذا كتاب " الاستشراق " للمفكر الفلسطيني الراحل " إدوارد سعيد" و الذي كان ولازال نقطة فارقة في مسار الدّراسات الاستشراقية، إنّ هذين المرجعين يعتبران هامين لكل باحث أراد البحث في موضوع الاستشراق و التعمق فيه.

أمّا فيما يخص الصعوبات التي اعترضتنا أثناء القيام بهذا العمل لعلّ أهمها:

- قلة المصادر و المراجع التي تتناول هذا الموضوع بشكل معمق ودقيق وعدم تنوعها، بحث أن معظم المراجع اهتمت بدراسة الاستشراق بشكل

سطحي أو اهتمت واعتنت بالبحث في الجانب الدّيني في تعامله مع القرآن و السنة النبوية.

- الاختلاف في محتوى المواضيع التي تناولت موضوع الاستشراق بصفة عامة و التي ترجمها الغربيون بشكل ذاتي يراعي مصلحتهم، مما يصعب علينا ضبط هذه المعلومات.
- تشابه المراجع فيما بينها بالنسبة لما تحتويه من معلومات وحقائق عن موضوعنا.

خطة الدّراسة:

لقد بنينا وقسّمنا بحثنا هذا على مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

في المدخل تطرقنا لموضوع الترجمة عامة في ماهيتها وأهميتها الحضارية و الوجودية قديما وحديثا، ثم الترجمة وتعريفاتها اللغوية والاصطلاحية وما يتوجب توفره في المترجم من شروط ومواصفات، لنصل في الأخير إلى محاولة تبيان علاقة الترجمة بالاستشراق منذ نشأته والتقائه بالحضارة العربية الإسلامية من خلال العصور.

وفي الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان دوافع الاستشراق، فالبداية حاولنا أن نعرف الاستشراق من الجانب اللّغوي والاصطلاحي وتطرقنا إلى الاستشراق كعلم وظاهرة حضارية معرفية هي إطاره المعرفي ثم بحثنا في نشاطه ومساره ودوافعه التي أوجدته.

أمّا بالنسبة للفصل الثاني و الذي يتمحور حول مراحل الاستشراق وأهم مدارسه، فبعد تمهيد قصير لهذا الفصل بحثنا في أطوار الاستشراق التي مرّ بها عبر العصور و التي وسمت تطوره التاريخي وصولا لذكر أهم مدارس الاستشراق مع ذكر أهم رجالات كل مدرسة على حدى .

وفيما يخص الفصل الثالث و الأخير و الذي جاء كالآتي " علاقة المدرسة الفرنسية بالثقافة العربية " خاصة المخطوط العربي حاولنا أن نبين ونظهر الخطوات التطبيقية التي

طبعت تعامل الاستشراق و المدرسة الفرنسية مع التراث العربي الإسلامي من خلال العلاقة بين فرنسا و العالم العربي وكذلك كراسي اللّغات الشرقية التي أنشأت لتدريس اللّغة العربية وعلومها ثم المكتبات العامّة و الخاصّة و التي اختزنت فيها كنوزًا هامة جدًا حول التراث العربي في شتى العلوم و الميادين، إضافة إلى بعض الصُحف و المجلات وغيرها، ثم تطرقنا إلى أهم رجالات الاستشراق الفرنسي وقمنا بتعريف هذه الشخصيات تعريفا مفصلا.

ثم تطرقنا في الأخير إلى ثلاثة من أهم اللّحظات التاريخية الفارقة التي ميّزت الاستشراق الفرنسي في تعامله مع العربي الإسلامي.

وفي الأخير جاءت الخاتمة وهي عبارة عن تتويج لهذا العمل، واستخلاصنا للنتائج المهمة التي توصلنا إليها، في تسجيل تحليلنا الخاضع للقراءة المتواصلة لكل ما سبق ذكره في العرض الرئيسي.

أما المنهج المعتمد، فاعتمدنا على المنهج التحليلي الوصفي سبيلا ومنهجا في هذه الدراسة، لأنه الأنسب لهذا الموضوع المطروح كما يتيح لنا التمكّن من مفاتيحه وبالتالي التعامل معه دون تفريط أو إفراط.

تقدم الترجمة دورا عظيمًا في التطور الثقافي للإنسانيةِ، فيطلع الناس في بلد ما بواسطة الترجمة، على حياة البلدان الأخرى، حضارة وثقافة بالاضافة إلى منجزاتها في ميادين العلوم والفكر المختلفة، وتتناول الترجمة دائرة واسعة من مجالات النشاط الإنساني، فمن لغة إلى أخرى تترجم الأشعار والكتب الأدبية الفنية والمؤلفات الاجتماعية والكتب العلمية والبحوث والمقالات الصحفية، إضافة إلى خطب الشخصيات العامة والشخصيات السياسية، وأحاديث القادة وصناع الأحداث، دون أن ننسى الأعمالالسينمائية وكل ما تعلق بالمجال السمعي البصري إلى غيرها من مصادر المعلومات العامة منها والخاصة.

وهي ــ أي التَّرجمة ــ علاوة على ذلك ضرورة إنسانية، وأداة هامة لنقل حصيلة العلوم والمعارف والآداب، وعامل مؤثر جدا من عوامل النهضة، وذلك ما يثبته تاريخ الحضارات الغابرة والحاضرة أيضا ([1])، والترجمة من هذا المنطلق كانت ولازالت وستظل تمثل جسرا عظيما يربط بين جموع البشرية في مختلف الأصقاع ومن مختلف الأزمنة مما يُتيح فرصة أكبر للتلاقح والتزاوج الذي يُثري التجربة الإنسانية بأشكال مختلفة وليس أدل على عظم أهمية الترجمة من أنها — خاصة في عصرنا— أصبحت مهنة يحترفها دارسون ومتخصصون فيها تخصصا كاملاً.

وفي سياق هذا التبادل الثقافي بين الشعوب يحظى التعرف على الآداب الأجنبية بأولوية متميزة أحيانا، لاسيما وأنه قليل الكلفة نسبيا ، ويتيح التواصل مع جموع كبيرة،بالإضافة إلى هذا وذاك فإنه يُشكل قناة متميزة للتعرف على الثقافات الأخرى،فالأدب يكاد يعطي الجواب الشافي على أغلبية الأسئلة المتعلقة بماهية المسائل المهيمنة على تفكير وأحاسيس

[1]-أسعد مظفر الدين الحكيم: " علم الترجمة النظري "، دار طلاس للدّراسات و الترجمة و النشر، سنة 1989، ص 25.

البشر أو الشعوب، والخاصة بالطريقة التي يفكرون بما في مواجهة هذه المسائل، أو الدائرة حول التراث الذي يختزنونه في ذاكرتهم ويمثل مرجعية لهم في حياتهم العامة([2]).

قبل أن نبدأ بخطوات البحث في موضوعنا العام – الاستشراق دوافعه ومراحله ، وعلاقة المدرسة الفرنسية بالثقافة العربية – .

نرى أنه من المستحب والمفيد أن نُمهد بالحديث عن الترجمة في إطارها العام والخاص ــ ماهية الترجمة ــ حتى يتسنى لنا وضع أقدامنا على السبيل الصحيح الذي يتيح لنا المضي بثبات في ربط عناصر هذا البحث نحو أوضح النتائج وأسلمها.

ما هي الترجمة؟ وما هي شروطها؟ وعلى أي أساس يقوم عمل المترجم؟..
تساؤلات سنحاول جلاءها بالإضافة إلى عناصر أخرى مهمة لهذا المدخل.

1. ماهية الترجمة:

1. لغة:

جاء في لسان العرب: الترجمان و التُرجُمَانُ المفسر للسان وفي حديث هرقل: قال لتُرجمانِه، الترجمان بالضم والفتح: هو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع تراجم"([3]).

وفي القاموس المحيط :" التُّرجمان: المفسر للسان" ثم نجد في " الصحاح للُّغةوالعلوم . يقال قد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر، ومنه التُّرجمان، والجمع تراجم.

---

[2]- انجيليكا نيورث: " في التَّرجمة"، مجلة الفكر و الفن، معهد غوته ألمانيا ، العدد 79 ، السنة الثالثة والأربعون 2004م، ص 12.

[3]- ابن منظور الإفريقي المصري، " لسان العرب"، دار صادر بيروت، المجلد الثاني عشر، مادة " ترجم"، ط 1417، ق.6 هـ ، سنة 1979م، ص 66.

ويقال ترجمان وترجمان والترجمة: النقل من لغة إلى أخرى([4]).

أما في " المنجد في اللغة والأعلام " : فنجد: ترجم الكلام: فسره بلسان آخر، فهو ترجمان والجمع تراجمة وتراجم و يقال: ترجمه بالتركية: أي نقله إلى اللسان التركي، وترجم عليه: أوضح أمره. والترجمة: التفسير. وترجم الرجل:ذكرسيرته والترجمة: ذكر سيرة شخص وأخلاقه ونسبه. والترجمة الكتاب: فاتحته"([5]).

2. **<u>اصطلاحا:</u>**

الترجمة هي شرح وتفسير ما يقوله ويكتبه الآخر. من لغة أخرى إلى لغة المتلقي أوالمستمع([6]) . وهي في الأصل نقل الكلام من لغة إلى أخرى قصد ايضاح معنى الكلام وتبين القصد منه([7]).

وهي أيضا نقل الكلام المعبر عنه بلغة ما إلى لغة مطلوب فهم هذا الكلام بهاسواءكانهذا الكلامشفهيا أو مكتوبًا"([8]). وتعتبر الترجمة واحدة من الظواهر اللغوية التي تشملهاعناية اللسانيات التطبيقية الحديثة وهي مهما تعددت تعريفاتهالا تخرج إجمالا عن كونها عملية تواصل تحصل بتحويل علامات لغة إلى علامات لغة ثانية، فهي تعني كل شكل من أشكال التوسيط بينطرفين أو اكثر يستعمل كل واحد منهما لغة تختلف عن لغة الطرف الأخر، وهي قناة وجسر في عملية التواصل بين مجموعتين

---

[4]- مجد الدِّين الفيروز آبادي: " القاموس المحيط "، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التَّاريخ العربي بيروت، الجزء الأوسط (1417هـ - 1997م)، مادة " ترجمان "، ص 1924.

[5]- "المنجد في اللُّغة والأعلام"، دار المشرق بيروت، 2003م، ص 60.

[6]- سالم العيس: " التَّرجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م، ص 06.

[7]- بريهمات عيسى: " التَّرجمة و التأويل"، المجلة الجامعية، المركز الجامعي ، الأغواط، العدد 01، ماي 2003. المجلد 67/03.

[8]- المرجع نفسه: 67/03.

لغويتينمختلفتينسواءًا كان التواصل تخاطبا أم تراسل([9]).

ونجد دوما أنّه لابد للترجمة من عنصرين أساسيًا أو بالأحرى نوعين من النصوص: النص الأصلي و النص الهدف. فاللُّغة التي يكتب بها النص الأصلي تسمى اللغة الأصل و اللغة التي ينقلون إليها النص الأصل تدعى لغة الترجمة .

إذًا نستنتج أن التَّرجمة هي عملية تحويل إنتاج كلامي في إحدى اللُّغات إلى إنتاج كلامي في لغة أخرى مع المحافظة على المضمون الثابت أي المعنى([10]).

ويمكن أن نوزع عملية التَّرجمة على مرحلتين أساسيتين هما:

-مرحلة التحليل.

-مرحلة التركيب.

يتلخص جوهر المرحلة الأولى في فهم المترجم للنص الأصلي، ويتلخص جوهر المرحلة الثانية في التعبير عن المعنى نفسه بوسائل لغة أخرى([11]).

وأخيرا لابد من الإشارة إلى أن هذه التعريفات التي سقناها لا تخرج عن كونها مقاربات فقط ويرجع ذلك لسبب بسيط ومعقد في آن واحد هو أن الموضوع – أي الترجمة – لازال محل سجال بين المنظرين و المترجمين من جهة و القراء و المتذوقين من جهة أخرى.

فلا يمكننا أن نضع أيدينا على تعريف اصطلاحي متفق عليه من لذن أهل الإختصاص و الممارسة كافة .

---

[9]- شُعيب مقنونيف: " حول واقع التَّرجمة وثقافة المترجم، مجلة المصطلح، العدد 01، 2002م، ص 191 - 192.

[10]- أسعد مظفر الدين الحكيم: " علم الترجمة النظري" ، ص 36.

[11]- المرجع نفسه، ص 202.

1. شروط الترجمة:

هي حسب أسعد مظفر الدين الحكيم تتلخص في النقاط التالية:

- البيان.
- معرفة اللُّغة المنقول منها.
- معرفة اللُّغة المنقول إليها.
- معرفة الموضوع المنقول.
- ثقافة عامَّة.

كما يزيد بعض الدارسين على الشروط السابقة الذكر شروطا لا تقل أهمية منها، خفة الروح وحضور البال، واتساع مجاري الخيال، مع القدرة على السبك و الحبك، و التعبير الفصيح و السليم، و المطالعة المستمرة، و المران الذي لا يعرف الكلل ولا الملل[12].

ولا بد للمترجم كذلك من أن يتمتع بكفاءة عالية وحس أدبي وفني مرهف بالنسبة لنتاجه وانسجام بليغ مع مؤلفه حتى يتمكن من نقل الكلمات و الصور بدقة وبأقل ما يمكن من التفريط بالأمانة[13].

ومن أهم من اهتم بالترجمة وشروطها قديما الجاحظ الذي بحث الموضوع، خاصة موضوع خطأ الترجمة وأثره على فساد معنى النص الأصل، حيث يقول: " فكيف أسكن إلى ما في كتاب رجل لعله إن لو وجد هذا المترجم أن يقيّمه على المسطبة، ويبدأ إلى الناس من كذبه عليه، ومن إفساد معانيه بسوء ترجمته[14].

---

[12]- المرجع السابق، ص 181.

[13]- محمد ديداوي: " علم التَّرجمة بين النظري و التطبيقي"، دار المعارف للطباعة و النشر، سوسة، ط1، 1992م، ص 162.

[14]- سالم العيس : " الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية"، ص 05.

فالمترجم يشغل مكانة ذات حساسية عظمى في عمله إذْ يعتبر وسيطًا لغويًا وثقافيًا يضطلع بمهام التلقي، التفسير، التأويل، و النقل بكفاءة علمية من لغة المصدر إلى لغة الهدف[15].

وهو باعتباره مؤولا لا يركن فقط لما يصرح به النَّص بل عليه أن يذهب إلى ما وراء النص، إلى الخطاب الذي قيدته الكتابة، بل إلى الواقعية الفيزيقية التي انتجته[16].

و المترجم عموما ليس ملزما بالبحث عن الفكرة أو خلقها، بل كل ما يترتب عليه أن ينقلها بلغة أخرى، وبعبارة أخرى فالفكرة لا تعود إلى المترجم بل إلى منشئ النَّص[17].

ومن خلال كل هذه التوضيحات و النقاط نجد أن مهمة المترجم – بعد فهم النَّص الأصلي – هي التعبير عن المعنى نفسه، وبشكل أدق وبواسطة لغة أخرى. وطالما أن التحويل يتم بين لغتين فلا بد من الخسائر الدلالية المتعلقة بالدرجة الأولى بنظام المعاني التركيبية (المعاني اللُّغوية الداخلية في النَّص الأصلي)، و المترجم ملزم بالسعي للتقليل من هذه الخسائر إلى أدنى حد ممكن، أي تأمين أكبر قدر من التكافؤ بين النَّص الأصلي ونص الترجمة ويتطلب هذا منه أن يحدد ما يجب المحافظة عليه في حدود النَّص المعين وما يمكن التضحية به بغرض تأمين التكافؤ الأقصى[18]، ومن هنا تتضح لنا أهمية وحساسية موقع المترجم وخطورة عمله .

---

[15]- الجاحظ : " الحيوان" ، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط2، 1966م، ص 19.
[16]- المصدر نفسه، ص 76.
[17]- بريهمات عيسى: "التَّرجمة والتأويل"، ص 67.
[18]- سالم العيس: " التَّرجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية" ، ص 06.

الإستشراق و الترجمة:

إن الاستشراق في جوهره حركة يمكن القول عنها إنها كانت في مطلعها حركة ذات صيغة علمية وأهداف علمية ودينية([19]).

إذ أنَّ الهزة العميقة التي أحدثتها الانتفاضة العظيمة للعرب كأمة كانت مشتتة متفرقة متناحرة جعلت كل الأمم – خاصة المجاورة لها – تنظر بنوع من الذهول و الدَّهشة لهذه النهضة التي جاءت من عمق الصحراء المترامية الأطراف، وعلى أيدي أناس كانوا إلى أمد قريب جدا – قبل الإسلام – غير معدودين إلا عبيدا ورعيا مطالبين بالسمع و الطاعة ودفع الإتاوات لممالك عاتية القوة و النفوذ([20]).هذه النَّهضة غيرت وجه العالم تغيرا شاملا من كل النواحي، ورسمت معالم جديدة لموازين القوى السياسية و الدينية والثقافية، إذ لم يمض على وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – الأعظم، مائة سنة حتى أصبح هؤلاء .... سادة دولة أعظم مجدًا ، وأعز شموخًا، وأوسع نطاقًا من الأمم التي ظهرت قبلهم قبل التاريخ([21])....

وما كان من الممكن أن تمر هذه النهضة مرور الكرام، وهي التي أصبحت مالكة الدنيا و شاغلة الناس من عرب وعجم، وما كان لها أن تدع الأمم الأخرى في غيبوبتها وظلامها الدَّامس الذي ظل مخيمًا منذ قرون خلت ولازالت.

وكيف لا يكون ذلك وهي تحمل لواء الحق أساسه العمل الصالح و الخُلق الحسن

---

[19]- حفناوي يعلي: " أثر التَّرجمة الأدبية في حوار الحضارات"، مجلة التواصل، عدد 122 جوان2004، ص 118.

[20]- محمد صالح البنداق: " المستشرقون وترجمة القرآن الكريم " منشورات دار الافاء الجديدة بيروت، ط2، 1983م، ص 87.

[21]- أحمد سمايلوفيتش:" فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، دار الفكر العربي 1998م، ص 16.

والعلم النافع وكل ذا تحت شعار واحد " إعلاء كلمة الله الذي لا إله إلا هو " ([22]) ، هذه العقيدة وهذه المبادئ خلقت نوعا من الترقب و الفضول العارم و الحيرة المدهشة ظلت مسيطرة على نفوس الأمم الأخرى من خلال علمائها وأدبائها ومفكريها، خاصة الغرب البيزنطي، والروماني المسيحي الذي اهتز عرشه الذي كان راسخا رسوخ الجبال في العالم القديم، فبدأ مكانته تتقلص وهيمنته تنتزع منه، وهيبته تدوي أمام ناظره، فكان لابد له من مجابهة هذا الخطر الداهم و الخصم غير الموقع وكان الأمر كذلك، فبدأ الصراع بين الأمم العربية المسلمة الوليدة و الغرب المسيحي– ممثلاً في الإمبراطورية البيزنطية– صراعًا عسكريًا بدا يشتد يومًا بعد يوم وسنة بعد سنة مع رجوع لغة المسلمين وغلبتهم في معظم المشاهد المعارك التي لم يخفى يوما لهيبها منذ الصدام الأول، إلى حروب الثغور،وصولاً إلى الحروب الصليبية فما بعدها إلى العصر الحاضر الذي يمثل امتدادا تاريخيا طبيعيا لهذا الصراع اللاَّمتناهي .

وبعد تأكد الغرب المسيحي أن الصِّراع العسكري لم ولن يفضي إلى النتيجة الموجودة منه و التي ليست غير الحاجة إلى فك طلاسم هذا السِّر الذي يقف وراء هذه القوة الحضارية و الفكرية والإنسانية التي لا نظير لها و التي ميزت الحضارة الإسلامية العربية في أوّج قوتها وعنفوانها. نقول وبعد تأكد المسيحية من عدم شجاعة الحل العسكري، بدأ البحث عن وسائل وأساليب أخرى تضمن التغلغل و الوصول إلى عمق الشخصية الحضارية والفكرية العقيدة للدولة المسلمة، مع الحفاظ على عدم انكشاف أوراقها – أي المسيحية– أمام هذا العدو الأزلي . وهنا يبدأ المسار الفعلي للظاهرة الاستشراقية التي ولدت على أيدي الرهبان ورجال الدِّين([23]) المسيحيين الذين وهبوا حياتهم ونفسهم لخدمة هدفهم الأسمى و المتمثل في التعرف على الحضارة الاسلامية في مختلف نواحيها للوصول في النهاية إلى اكتشاف نقاط قوتها و التمكن من مجابهتها و

[22]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[23]- أحمد سمايلوفيتش: " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 16.

النيل منها بطريقة تضمن القضاء عليها و الحد من توسيعها امتدادها([24]).

ولد الاستشراق وبدأ يخطوا خطى بطيئة وثابتة وراح أبناء الغرب يتوافدون على العالم الإسلامي من حدب وصوب، خاص نحو الحضارات الكبرى مثل بغداد ودمشق إلى قرطبةخلال القرن العاشر ميلادي، و التي كانت جميعها منارات الدنيا في العلم و الحضارة و الفكر. فاخذوا ينهلون من علوم الغرب و المسلمون في كل مجال ومقام، وخلال ذلك تعايشوا مع المجتمع الإسلامي واتخذوا مكانة لم في المجتمع مما أعطاهم فرصة ذهبية لدراسته دراسة مستعصية دقيقة استمرت طوال قرون و قرون.

ولابد أن نشير إلى أنه كان سيكون مستحيلا تحقيق هذا المسار المدروس لولا الجو المتسامح و الأخوي المشبع بالحرية و العدالة الاجتماعية و الفكرية و الدينية – ولو نسبيا– الذي ضمن لأبناء الغرب حرية الحركة و التنقل في جو آمن .

ولم تقف حركية الاستشراق هنا، فقد كانت صلة المستشرقين قوية وحيوية جدا مع أوطانهم و المصادر الممولة لبحوثهم على اختلافها واختلاف دوافعها، إذ بعد المرحلة الأولى و المتمثلة في الدرس وأخذ العلم بمختلف صنوفه عن المسلمين، بدءوا يحملون زادهم المعرفي هذا على بلدانهم تاركين الركب لدفوعات أخرى وأخرى متتالية. ومما لاشك فيه أنه كان لزاما عليهم تعلم اللُّغة العربية وهو أهم هدف سعت لحقيقته الإرساليات الأولى من المستشرقين وتعليمها لمن سيليهم في مهمتهم المقدسة، فكان ذلك إذ أنهم تعلموا اللغة العربية في موطنها ومنشئها وتعلموا آدابها وعلومها([25])، ثم انكبوا على مؤلفات التي استطاعوا تحصيلها باستماعهم المباشر للعلماء أو من خلال حصولهم على المخطوطات و المؤلفات التي كانت تمثل زبدة الفكر الإسلامي في مختلف جوانبه العقيدية منها و الفلسفية و العلمية ومن هنا مروا إلى مرحلة النقل و الترجمة، تُرجمت هذه

[24]- عبد العظيم الديب: " المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي"، كتب الأمة رقم 27، ربيع الثاني 1411 هـ، ص

[25]- محمد صالح البنداق: " المستشرقون وترجمة القرآن الكريم "، ص 89.

المؤلفات إلى اللغات الأوروبية.

بدأت حركة الترجمة و النقل للعلوم العربية " وكان أول وأهم عمل هائل في مجال الترجمة إلى العربية خصصوا له الوقت و الجهد هو القرآن الكريم..."([26]) . ومنه نستنتج أن الترجمة كانت ولازالت مصاحبة للظاهرة الاستشراقية فمن ترجمة القرآن إلى ترجمة المؤلفات الأدبية، و التاريخية و العلمية إلى ترجمة الموسوعات و المدونات الفقهية و الفلسفية و اللغوية. ومن الأمور التي لابد من الإشارة لها أن حركة الترجمة ارتبطت بحركة التأليف في العالم العربي الإسلامي ارتباطًا وثيقًا أي أنَّ الترجمة ازدهرت في عصور القوى التي عاشتها الدولة الإسلامية سواء في الشرق أو في الغرب، وخفقت في عصور الانحطاط و التقهقر، على أنها لم تتوقف أبدا وظلت على أدبها المتواصل بأيدي المستشرقين الذين لم يتركوا مجالا من مجالات الحياة العامة إلا طرقوه وبثوا فيه، وظل بحثهم المتواصل و الدؤوب على المخطوطات و المؤلفات النادرة ملتهبا لا ينطفئ وظموئهم قائم لا ارتواء له.

وبذلك كانت الترجمة عاملا هاما من أسس عملهم وقرائتهم من قواعد البحث العلمي العملي حتى عصرنا الحاضر .

أمَّا الآن وفي ظل التخلف العلمي القاسي و المرير للمجالات العلمية و التقنية في عالمنا العربي الإسلامي، ونتيجة لتخلفنا الحضاري والفكري عامة([27]).

لأسباب ودوافع كثيرة ومتشعبة لم يتبق لنا إلا الثقافة عموما والأدب خصوصا ليمثلنا ويرسم سورتنا عند غيرنا من الأمم، ولن يكون غريبا رؤية المؤسسة الاستشراقية توجه اهتمامها لهذا الجانب الحضاري المهم بغية إبقاء عيونها متفتحة على الشخصية العربية الإسلامية في حلها ورحالها، في بداوتها وحضارتها في تطورها النفسي و العقلي و المعرفي، وكذا في تطور اهتماماتها البسيطة و المعقدة لدى مختلف بنياتها الاجتماعية

[26]- عبد العظيم محمود الديب: " منهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي" ص 07-30.
[27]- أحمد سمايلوفيتش: " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر" ، ص40.

الحية. و الأدب كان ولازال في حياة العرب" في طليعة مسيرتهم ونضالهم وعنايتهم"([28]) وهو " ديوان علمهم ومنهى حكمهم..." ([29]).

والإهتمام بالثقافة العربية يزداد يوما بعد يوم، و إن الذي يدعونا إلى إلقاء الضوء على هذه العلاقة النامية بين المؤسسة الاستشراقية الفرنسية خصوصًا وثقافتنا العربية المتمثلة في أدبنا العربي، ومحاولة معرفة هذه العلاقة في عمومياتها وفي خصوصياتها أيضا، وقد يشجعنا هذا أنْ نعرف مدى الفائدة التي نرجوها ونطلبها فائدة نتمناها ذات وجوه عديدة فمنها الإطلاع على ثقافتنا – أدبنا– إطلاع أشمل ومن ثم معرفته معرفة أكثر، فنلامس عن قرب معاملة المستشرق المترجم الدَّارس لهذا الأدب فنتعرف من خلاله على بيئته وأفكاره وأهدافه العامة و الخاصة.

لقد سار الاستشراق مع الترجمة في خط واحد متوازن لمدة طويلة، وليست هذه المسيرة خاصة فقط بالعالم العربي الإسلامي بل بمختلف الحضارات الشرقية التي كانت ولا زالت – لو بدرجات متفاوتة– تثير فضول الغرب وتستثير اهتمامهم، إلا أن العالم العربي سيظل يحتل المركز الخاص المتميز في البحوث و الدراسات الاستشراقية لعدة اعتبارات ليس همها الثقافة فقط على أي حال.

[28]- ابن سلام الجمحي: " طبقات فحول الشعراء"، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف القاهرة 1952م، ص 24.

[29]- أحمد سمايلوفيتش: " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 04.

إنَّ من خلال بحثنا في موضوع مهم جدًّا كالاستشراق، فنحن نتحدث عن تراث شاركت في صنعه أمةٌ في بحث أمة بحثا استغرق لغتها ودينها وفكرها ومنجزاتها مثلما أسلفنا الذكر في المدخل، ولم يكن اكتفاؤها بذلك وارد حيث بعد البحث جاء في التّحقيق و التدقيق والتّحليل ، ومن ثم التّعقيب والإضافة وهو أمر عادي إذ ما تقصينا حركية التثاقف بين مختلف الحضارات لكنه لن يكون عاديا إذا كانت أهدافه هي إنشاء معرفة الغرض منها الهيمنة على وجود تلك الأمة بالهيمنة على فكرها وتاريخها وتوجهاتها وبالأخص علاقتها بماضيها وحاضرها، وبالتالي مستقبلها والأخطر من هذا وذاك وهو إصدار أحكام ترسم وتعزز عنها لدى الأمم الأخرى صورة هي ليست حقيقية ولا واقعية ولا موضوعية بالضرورة[30]، ولقد تسبب بموجات من الشّد و الجذب وتحفر أخاديد كثير وخنادق تسعى إلى الفصل والعزل أكثر من غير ذلك. كل هذا وغيره يضع استعدادنا وواجبنا في الالتزام بالموضوعية والحياء المطلوبين أمام موقف صعب، كيف لا ونحن في مواجهة أراء وأفكار هي في الغالب لا تتفق مع آرائنا وتصوراتنا، آراء قد نراها مجحفة في حقنا **مغالية في** تشويه صورتنا لدى أنفسنا قبل أن يكون ذلك لدى الآخر وهذا بالأخص ما يفرض على الباحث المبتدأ في هذا المجال أن يتحلى بالشجاعة و النظر العميق و الصّبر، خاصة وهو يصطدم بأفكار أقل ما يقال عنها أنها يرقى إليها الشك، أفكار قد تشكل له صدمة ووعي عميق اتجاه تراثه وأمته وهويته، وهو مالاقد يزعزع قناعات البعض فيجعله يستسلم لهذه التصورات المغالية ويسلم به دون بحثها أو التعمق فيها في حين تظهر شجاعات الباحث في تقبل هذه الأفكار أو على الأقل قبل دوافعها و العمل على فحصها وتحليلا بغية الوصول إلى نتيجة مرضية لعطشه المعرفي و العقلي أولا، ثم لقلبه ثانيا، ولا يأتي هذا إلا بالعمل و الثقة و المثابرة في ظل منهج علمي متوازن

30 - ينظر إدوارد سعيد: " الاستشراق ، المعرفة، السلطة، الانشاء"، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط 06، 2003م، ص 212.

يضمن للباحث ثم للقارئ تحقيق البغية المرجوة من أي عمل فكري، ألا وهي الوصول إلى الحقيقة.

لقد أثارت الظاهرة الاستشراقية ولازالت تثير جدلا حاميًا بين المؤيدين و المعارضين بل يزعم بعض الباحثين أنها أكثر المسائل إثارة للجدل و النقاش وسوف تستمر هكذا والأحقاب لاحقة، حتى يتم فهم هذه الظاهرة فهما علميًا بعيدا عن التعصب و الولاء[31].

ومن أهم الأسئلة التي قد تطرح نفسها في بداية هذا البحث هي:

– لماذا هذا الجدل؟ ولماذا ما يزال هذا الجدل محتفظًا بكل قوته وحيويته؟ وهذا بالإضافة إلى مسائل أخرى سنحاول التكلم عنها في هذا العرض .

إنّ الاستشراق ظاهرت ولدت ونمت وامتدت منذ القرن العاشر ميلادي إلى يومنا هذا، وظاهرة امتدت كلّ هذه المدة الزمنية وتميزت بكل تكل الحيوية و القوّة في تعاطي و الشّد و الجذب و الجدل أحرى بها أن تترك أثرا مماثلا لا يمحيه أبدا الدّهر، ورغم أنها ظاهرة تحكمت في نشأتها ظروف معينة في مرحلة حساسة من تاريخ العلاقة بين الغرب و الشرق إلا أنها رسمت معالم تاريخ جديد بين الشرق و الغرب، معايير لكل ما سبقه في كل المجالات الفكرية والاجتماعية و السياسية.

إن الحقيقة ليست واحدة ونحن من خلال هذا العمل سواء كان متواضعا أو غير ذلك نسعى أن نصل إلى كشف جانب يسير من هذه الحقيقة الواسعة المتكاملة حبا في المعرفة قبل كل شيء و الله المستعان وهو على كل شيء قدير.

إنّنا ملزمون بطرح الأسئلة التقليدية الملحّة في بحث أية ظاهرة علمية، وبما أن موضوع بحثنا هذا هو الاستشراق فما هو الاستشراق؟ وما تعريفاته؟ ، كيفَ وُجد ولما كانت الحاجة إليه أساسًا؟ وكيفَ حدث ذلك وما كانت دوافع وجوده؟ إلى غيرها من الأسئلة التي سيتم الإجابة عليها تبعًا.

31- ساسي سالم الحاج: " نقد الخطاب الاستشراقي"، دار المدار الإسلامي، يناير 2002، ج1، ص7.

1. تعريف الاستشراق:

لقد مرّ المفهوم العلمي لكلمتي " الاستشراق " و " المستشرق " بأدوار مختلفة منذ عام 1683م عندما كان يطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية[32].

إنّ كلمتي " المستشرق" و " الاستشراق" علميا حديثتا العهد في الإنجليزية والفرنسية[33]، وأول ما ظهر مصطلح " مستشرق" ليطلق كوصف ثقافي وعلمي حديثعلى مختصين أوروبيين في ثقافة الشرق ولغاته و تراثه وحضارته[34].

وأول ظهور له كان في إنجلترا قبل غيرها سنة 1779م، ليعم بعد ذلك مختلف الحضارات في الدول الأوروبية[35].

أمّا كلمة " استشراق" فكان ظهورها متأخرا نسبيا وعرفتها اللغة الانجليزية قبل غيرها سنة 1811م، ثم عرفتها اللغة الفرنسية عام 1830م[36].

وبعد ذلك بقليل جاء الاعتراف بها داخل الأكادمية الفرنسية المشهورة بالمحيط في إدخال الكلمات الجديدة إلى اللغة الفرنسية فأدخلتهما إلى معجمها الشهير عام 1938م[37]، ومن المعاجم الغربية الحديثة انتقل المصطلحان إلى المعاجم اللغوية العربية الحديثة والمعاصرة، إذ من المعلوم أن لفظة استشراق التي نبحث ع مفهومها اللغوي لم ترد في المعاجم العربية المختلفة [38]، ونحن نقصد هنا المعاجم العربية التراثية القديمة في معظمها.

---

[32]- أحمد سمايلوفيتش: " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 25.
[33]- المرجع نفسه: ص 26.
[34]- الطيب بن براهيم:" الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، 2004م،ص 18.
[35]- المرجع نفسه، ص 18.
[36]- المرجع نفسه، ص 18.
[37]- أحمد سمايلوفيتش: " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 26.
[38]- المرجعنفسه، ص 21.

أ -**التعريف اللغوي للاستشراق:**

جاء في " لسان العرب"شرق : شرقت الشّمس تشرق شُروقًا و شرقًا: طلعت. واسم الموضع المشرق، و الشرق: المُشرق والجمع أشراق.

والتشريق: الأخذ في ناحية الشرق، وشرقوا: ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق [39] كذلك تقريبًا نجد في القاموس المحيط: الشرق: الشّمس...وأسفارها، وحيث تشرق الشمس... وشرقت الشمس شرقًا وشروقًا: طلعت. و التشريق: الجمال، وإشراق الوجه، والأخذ

في ناحية الشرق[40].

هذا ما يخص المعاجم العربية القديمة التي خلت من اللّفظة المراد البحث عنها أي الاستشراق حيث هي غير معروفة آنذاك وأقرب لفظة للمعنى المراد هي كلمة " إستعراب" و " مُستعرب" التي تعني دخول غير العرب في لغة العرب وآثارهم وتقاليدهم وتمنهم منها تمكنًا متفاوتًا[41].

أمّا حين نستقصي المعاجم العربية الحديثة فإننا نجد لفظة "الاستشراق" في جلا، ففي المنهل نجد تحديدا جميلا للمفاهيم على النمط الآتي:" Orient"و"Orientatiste" لوصف أهل الشرق أو الشرقيين. و"Oriental" هو الشرقي و المشرقي "Orientalisant" لوصف كل متأثر بالشرق. أما الاستشراق فيعبر عنها بلفظة "Orientalistisme" التي لها

---

[39]- إبن منظور الإفريقي المصري: " لسان العرب"، دار صار، بيروت، المجلد العاشر ط 1، 1410 هـ/ 1990م، باب حرف القاف، مادة " شرق ".

[40]- مجد الدين الفيروز: " القاموس المحيط"، دار حياد التراث العربي/ مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ط 1، 1417 هـ/ 1997م،مادة " شرق".

[41]- ينظر: إبن منظور الإفريقي المصري، " لسان العرب" ، باب حذف القاف، مادة "شرق"، وقاموس المحيط " فيروز آبادي " ، مادة " شرق ".

أيضا معنى حب الأشياء الشرقية و المستشرق أو العالم باللغات و الآداب الشرقية هو "Orientaliste"

أمّا في " المنجد في اللّغة العربية المعاصرة" فلفظة شرق على مدار السنة. الشرق: البلدان أو المناطق الواقعة في الشرق، جهة طلوع الشّمس. وتشرق: صار مستشرق، تشرق أوروبي تشرق: صار مستشرق، تشرق أوروبي . استشراق: صار مستشرقًا إهتم بالدّراسات الشرقية، " استشراق فرنسي".

استشراق: اتجاه الغربيين نحو الاهتمام بتراث الشرق وحضارته ولغاته. مستشرق والجمع مستشرقون: أديب غربي يهتم بدرس تراث الشرق وحضارته ولغاته.

ولا تخرج الدلالة اللّفظية لكلمتي " مستشرق " و " استشراق" في المعاجم العربية الحديثة عن تلك الموجودة و المتعارف عليها في أمهات المعاجم الغربية، الفرنسية منها خاصة وهي التي تهمنا في هذا البحث.

1- قاموس Le Robet: شرق: المنطقة التي تشرق منها الشمس. شرقي : متمركز في الشّرق... شخص أصله من الشرق.

- مُستشرق: استخدم باسم منذ سنة 1799م... لتمييز الخبير في اللغات والحضارات الشرقية. استشراق: علم الأشياء الشرقية 1840من تذوق الأشياء الشرقية 1846م[42].

2- قاموس Le Littre: شرق النقطة من الفضاء حيث تشرق الشّمس عند الأفق... شرقي: من جهة الشرق: ينتسب للشرق. استشراق: مجموع المعارف و الأفكار الفلسفية الخاصة بالشعوب الشرقية. مُستشرق : المهتم بالمعارف و اللّغات الشرقية عالم استشراقي[43].

3- القاموس الموسوعي Auzou:

[42]- Le Robert : « Dictionnaire Historique de le langue française » , Paris, Octobre 192, p1382/1383.

[43]- Le Littre : « dictionnaire de la langue française », Hachrete, 2001, p 1130.

- شرقي: من الشرق، من الشرق كهوية ثقافية أو سياسية.
- استشراق: الاهتمام بكل ما يأتي من الشرق.
- مُستشرق: شخص مهتم بالاستشراق أو يدعيه[44].

4- قاموس Le Petite Larousse:

- شَرقي : ما يوجد في الشرق، في المشرق، شخص ينتمي للحضارة الشرقية ...لأحد البلدان الشرقية.
- استشراق: مجموعة العلوم التي تتخذ موضوع الحضارات الشرقية تذوق الأشياء الشرقية.
- مُستشرق: الذي له علاقة بالاستشراق، المختص في الحضارات الشرقية[45].

ب - <u>اصطلاحا:</u>

إن الباحث عن تعريف محدد للاستشراق يجد نفسه أمام سيل من التعريفات التي دبجت حوله والتي تنتهي. "ومن أجل هذا فإن إعطاء تعريف للاستشراق هو ضرب من المحال، وكل تعريف نجهد أنفسنا لإعطاء لا يكون شاملاً جامعًا مانعًا" [46]، ورغم اقتناعنا بهذه الفكرة، إلا أن هذا لا يمنعنا من سوق بعض التعريفات التي قد توضح لنا أكثر ماهية الموضوع، ولزيادة المنفعة لن نكتفي بآراء العلماء و الباحثين العرب، حيث نورد بعض التعريفات التي دَبجها علماء غربيّون من المستشرقين وغيرهم.

يقول " رودي بارت": " ...الاستشراق هو علم الشَّرق أو علم العالم الشَّرقي" [47]. ويصفه " جويدي" في معرض حديثه عن فحوى الاستشراق وأهدافه بأنه:" ...التّعمق في

---

[44]- Auzou : « dictonaire encyclopédique », 2005, p 1181.
[45]- Le Petite Larousse: « grand format » Larousse, 2005, p 763.
[46]- ساسي سالم الحاج: " نقد الخطاب الاستشراقي"، ص 17.
[47]- أحمد سمايلوفيتش:" فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 23.

درس أحوال الشُعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها" [48]، وغير بعيدٍ عن هذا يرى " ديتريش" أن المُستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشَّرق وتفهمه ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سلمية في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشَّرق"[49].

أمّا من الجانب العربي أو الشرق فقد تحددت التعريفات الخاصة بالاستشراق دون أن تبتعد كثيرا عن المعاني السابقة، فهذا " أحمد حسن الزيات " يرى أن الاستشراق اليوم هو دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره[50]. وعند " سمايلوفيتش" فهو التبحر في لغات الشرق وآدابه"[51].

أمّا " إدوارد سعيد " فيرى أن :" الاستشراق أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشَّرق وفي معظم الأحيان الغرب"[52].

وهذا الاستشراق:" الدّراسة المتقصية المتنوعة المتعددة الأغراض التي مارسها الغربيون لمحاولة فهم الشرق و التعرف إلى كنوزهم الحضارية، وعاداته وتقاليده وحضارته وديانته وكل منحى من مناحي حياته، مهما إن الغرض الدافع إلى هذه الدراسة سواء كانت الأهداف دينية أو عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية" [53]، وهي جلّها آراء كما نرى تعبر عن معنى متقارب.

لكننَا قد نجد بعض التّعريفات التي قد تعبر بطريقة فريدة عن اديولوجية معينة وهو الحال عند " إدوارد سعيد" في " الاستشراق " حيث أنه يقول: " إنَّ الستشراق يمكن أن يناقش ويحلل بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق، التعامل معه بإصدار

---

[48]- نفس المرجع: ص 24.
[49]- المرجع نفسه: ص 25.
[50]- أحمد حسن الزيات: " تاريخ الأدب العربي"ن دار المعرفة، ط4، 1418هـ/ 1997م، ص 378.
[51]- أحمد سمايلوفيتش: "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص23.
[52]- إدوارد سعيد: "الاستشراق "، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط6، ص 189.
[53]- ساسي سالم الحاج: " نقد الخطاب الاستشراقي "، ص 20 - 21 .

تقديرات حوله، وإجازة الآراء فيه، وإقرارها، بوصفه وتدريسه، والاستقرار فيه، وحكمه، وبإيجاز الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشَّرق وامتلاك السِّيادة عليه"[54].

إن هذه الفكرة هي ليست عمل " إدوارد سعيد " وأساس كتابه الأنف الذكر وهي فكرة فريدة لا يشاطره الرأي فيها أغلب الباحثين وإن شاطروه فيها فبتحفظ.

وبالرّغم أنه لا يوجد هناك مفهوم محدد متفق عليه للاستشراق ومجالاته و الحقول التي يعالجها، إلا أن يمكننا أن نقول أنّ الاستشراق بصفة عامّة لا يخرج عن كونه تلك الدّراسات و المباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة ودراسة الشّرق من جميع نواحيه.

فمن خلال هذا العمل الأوّلي هيأ البَاحث الأرضية المعرفية التي ستكون أساسًا للعمل كله، ومنه فإننا ونحن نتعرض للاستشراق كموضوع للدراسة ملزمون بتهيئة هذه الأرضية وبسطها شيئا فشيئًا أمَامَ المتلقي حتى نضمن الحَد الأدنى من الترابط بين أجزاء العمل وكذلك تمتين الصلة مع ذهن المتلقي.

كلّ هذا ما كان ليمر دون أن تَصل أخباره إلى مختلف الأصْقَاع خاصة الأوروبية منها و التي كانت متعطشة للعلم والأنوار وبالتالي التَّحرُّر من ظلام العصور الوسطى. وللتوسع ليلا في موضوع الاستشراق نرى أنه من الضروري الكلام عن أهم الدّوافع التي أمْلت وجود الاستشراق واستمرار بعض الباحثين يراها أهدافا و البعض الآخر يعرّفها على أنّها دوافع وبعيدا عن وذاك نقول أنها الاثنان معا، فاهتمام الغرب بالشرق منذ بدايته حتى الآن لم يفقد شيئاً من حماسه وقوّته، وهذا لم يأتي من فراغ أبدًا بل واجهته دوافع ونوازع متعدِدَة سنحاول اختصارها على الشكل التالي:

[54]- إدوارد سعيد: " الاستشراق "، ص 17.

المبحث الأول: دوافع الاستشراق:

<u>المطلب الأول: الدوافع الدينية</u> : يتفق كثيرٌ من الباحثين، خاصة العرب المسلمين منهم على أن النَّشأة الأولى للاستشراق كانت في أحضان الكنيسة والأمر ليس صعبًا على التَّقبل إذ علمنا واقتنعنا أنه وللقيام بمهمة دراسة الدِّين و الثقافة الإسلامية الناشئة آنذاك كان لابد من نخبة مثقفة تعي مسؤولياتها وطبيعة العمل المنُوط بها وبالنظر إلى الأحوال في أوروبا آنذاك فإن " رجال الدِّين " ومَرجعهم الفاتيكان يومئذٍ كانوا يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوروبا[55].

فلم يكن من المُمكن لأحد أن يتسلم زمَام هذه المهمة مكان رجال الدِّين، نظرًا لمستواهم العلمي من جهة، ومن جهة ثانية نظرًا إلى أنهم يتمتعون بميزة الولاء التَّام للمسيحية و للكنيسة، وهم بذلك مُحصنون نوعًا ما ضد جاذبية الإسلام دون أن ننسى قدرة العصبية الدّينية التي كانوا مستعينين بها على مقاومة أي إغراء عقدي آخر.

لقد إهتم المستشرقون الأوائل " بالتشكيل الثقافي للأمة المسلمة" [56]، وبمختلف جوانب حياتها الفكرية و العقيدية و السِّياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكشف حقائق الأمور في تكوينها، ونحن إذْ نَتحدث عن الدافع الدِّيني نشير أيضا إلى حبّ الإطلاع وحب معرفة الحقيقة و الفضول الذي يمتلك الإنسان العاقل ويدفعه دفعًا إلى الأمام.

---

[55]- نجيب العقيقي: " المستشرقون"، دار المعارف، ط.1980م. 4. ج1 ، ص 104.

[56]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وليس على أدل على ذلك من وجود عدد معتبر من هؤلاء الطلبة الأوروبيين الذين مثلوا طلائع المستشرقين قد اعتناق الإسلام عقيدة وفلسفة حياة خاصة وهم يعيشون واقعاً يتسم بتسامح لم يكونوا يحلمون به في أوطانهم ، ضف إلى ذلك سُمو رسالة الدِّين الإسلامي وَرِفعَةِ مبادئه، و العدالة التي مثلت روح وأساس الملك الإسلامي في مراحل عزته وعُنفوانه. وفي الجهة المقابلة نجد أن الكنيسة وبمجابهة هذا الزحف الإسلامي الهائل الذي بات يهدد وجودها في مهدها وقواعدها التاريخية، أثرت أن تعد مجموعة من الدّارسين الذين يتقنون اللُّغة العربية، ونهلوا من العلوم العربية خاصة في ميادين الفِكر وطُرق الجَدل و المناظرة التي كانت سوقها نافعة آنذاك، فيتيح لهم ذلك مواجهة الإسلام بالحجج و البراهين والجدل العقلي من جهة، ومن جانب آخر محاولة القيام بالتّبشير المضاد بالمسيحية في البلاد الإسلامية نفسها واستعادة ما يمكن استعادته[57].

دون أن ننسى التحصين الدفاعي الذي لجأت إليه الكنيسة في البلدان الأوروبية وأقطارها قصد تشويه صورة الإسلام و النبي (صلى الله عليه وسلم) ونقل معلومات خاطئة جدًا أو مقلوبة تمامًا عن المسلمين حتى لا تخترق الجبهة المسيحية الدّاخلية، وهو ما دفعهم شيئًا فشيئًا إلى تغذية مشاعر الخوف و الرهبة من المسلمين في آن واحدٍ مع مشاعر السُّخط عليهم و الكراهية الشَّديدة لها.

ومن أهم الوسائل التي اصطنعها الفاتيكان لهذه المهمة نجد: " تعلم العربية ، ثم اليونانية و اللُّغات الشَّرقية، في مدارس إسبانيا وتعليمها في مدارس أديارها وكاتدرائياتها وجامعاتها كجامعات : " بولونيا 1076م، وتولوز 1217م، ومونبوليه 1220م، وروما 1248م، وفلورنسنا 1303م"[58].

ومنه نرى أن الدَّافع الدِّيني بكل ما فيه من اندفاع وقوة كان إحدى الأسباب الرئيسية لإتجاه الغرب المسيحي للغات الشّرقية عامةً ولغة الإسلام خاصةً. وأخيرًا لابد

---

[57]- محمد صالح البنداق: " المستشرقون وترجمة القرآن الكريم"، ص 17.

[58]-أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص49.

من الإشارة إلى أنّه وَرغم أن الدّوافع الدّينية قد حملت في طياتها غايات متعددة ومختلفة إلا أن الغالب عليها و المتميز فيها هو مواجهة الإسلام ومحاربته ومحاولة تعويض سلطانه ونفوذه وكذا حماية المجتمع المسيحي من خطره.

المطلب الثاني: الدوافع العلمية:

وهي من الدّوافع بالغة الأهمية إذ أن الحالة المتردية لأوروبا القرون الوسطى لم تكن لترضي طموح شعوبها وخاصة المفكرين و المتنورين و المتفتحين على العلم منهم و الذين رَأوا أن لابد من الأخذ بأسباب الحضارة و الرّقي للخروج من ظلام تلك الحقبة، حيث رأوا أن لاسبيل لهم لإرساء نهضتها أي أوروبا إلا على أسَاسٍ من التراث الإنساني الذي تمثله الثقافة العربية[59]. فقد كان التّطور و التقدم الذي حققته الدّولة الإسلامية خاصة في أزها عصورها صاعقًا ومثل النموذج الواجب اللإقتداء به، والعالم العربي يعد كنزًا حضاريا لا نظير له في بقاع العالم الأخرى، ففيه شُيِّدَتْ حضارات وثقافات، ونشأت لغات وفلسفات، وولدت علوم وفنون[60].

علاوة على هذا وذاك فقد مثلت الحضارة الإسلامية حلقة الوصل التاريخية بين الماضي و المستقبل، حيث كما هو معلوم لم يقم العلماء و المفكرون و الفلاسفة المسلمون بإقصاء أي من هذه الثقافات الأخرى السَّابقة عليم أو المزامنة لهم، فأخذوا من هذه ومن تلك وترجموا ثم عمدوا إلى الاحتفاظ بما يناسب ثقافتهم ومقوماتهم، فدرسوه وحقّقوه ثم زادوا عليه وطوروه.

[59]- نجيب العقيقي:" المستشرقون"، دار المعارف، ط4، 190، ج1، ص 104.
[60]- أحمد سمايلوفيتش: " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص51.

أي أنها الحضارة الإسلامية قد حفظت تُراثًا إنسانيا هائلاً من الزَّوال ونمَّته وطورته بصورة أو بأخرى وما كان لكل هذا الصَّيت الذي اكتسبته أن يمر مُرور الكرام على باقي الأصقاع المتاخمة، وقد أثارت كل هذه القيم و المنجزات اهتمام علماء الغرب فاهتما بدراستها واكتشاف أسرارها [61]،فَشدُّوا الرِّحال إلى حواضر العلم المعروفة آنذاك في العالم العربي مثل بغداد و الشام وبلاد الأندلس التي كانت ولا ريب من أهم محطات استقبالهم، نظرا للقرب الجغرافي، وكذا عموم التسامح الذي تمتعت بهِ هذه البيئة عن غيرها، وقد كانت فائدة أوروبا من هذه البعثات عظيمة ولا تقدر حيث أصبح أفرادها بعد عودتهم من الأندلس شعلة علمية تضيء غياهب أوطانها... وأخذت تنشر العلوم و الفلسفات والآداب و الحقائق فدفعت بشعوبها خطوات جبارة لا يمكن التغاضي عنها عند النظر في تطور العلم في العالم[62].

وخلاصة الأمر أن طلب العلم الذي كانت البلاد العربية والإسلامية مؤهلاً له كان أحد أهم دوافع الاستشراق، و الحقيقة الخالدة التي يجب تذكرها دائمًا دون مغالاة ولا مبالغة وإنّما إنصافًا للحق و التاريخ.

61- المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

62- نجيب العقيقي: " المستشرقون"، ص 52.

المطلب الثالث: الدَّوَافِعْ الإِسْتِعْمَارِيَةُ و النَّفْسِيَةُ:

1. **الإستعمارية:**

وهي بلا شك تمثل النُّقطة الخطرة في العلاقات بين الشرق والغرب[63].

لقد كانت العلاقة بينهما دائمًا تَتميز و المُواجهة، علاقة مستعر بمستعمر، علاقة غازٍ يقاوم لهذا الغزو، علاقة مهيمن يريد بسط قوته أينما حل ونشر عقليته وديانته ومدينته و المطالبة بالخضوع لها كلها، بصاحب أرض يرضى التخلي عن هويته وتقاليده ومقوماته الشخصية و العقدية ويبذل الغالي و النفيس في سبيل الحفاظ على حريته واستقلاليته فكيف بالغازي إذا أصبح مغزوًا ومطاردة مهزومًا مكسور الكبرياء ومجروح الشّخصية أمام الصفعات المتلاحقة التي كانت تكال له على يد الأعراب الذين تحولوا إلى الإسلام فصاروا قوة بعد ضعف، وكونوا دولة فإمبراطورية شاسعة الأطراف بعد ما كانوا قبائل متنافرة، وبعد هذا وذلك وفي بضع مئات سنين تصير لهم حضارة ما مثلها حضارة ومدينة تتنادى بها الأسماع وتدنوا إليها الأبصار، فكيف لا يكون هنالك إلى جانب الإحساس بالخطر وواجب دفعه، إحساس بالحسد و الرَّغبة في الهيمنة والامتلاك من جديد، وكان المستشرقون الأوائل أكثر من لمسوا روعة الحضارة وغناها وتعاظم خيراتها وخيرات الأصقاع العربية وغير العربية التي كانت تحت الحكم العربي، وهذا ما يُحيلنا إلى نقطة مهمة جدا هي أن توسع الدولة الإسلامية كان كما ذكرنا على حساب وجود

[63]-أحمد سمايلوفيتش: " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص50.

ونفوذ إمبراطوريات ودول الفرس و الرومان البيزنطيين وغيرهم، هذا التوسع حرمهم من كثير من المزايا ودول كالفرس و الرومان و البيزنطيين وغيرهم، هذا التوسع حرمهم من كثير من المزايا، من بينها السيطرة على مواقع ظلت ولازالت إستراتيجية ومهمة في التجارة محاولة استعادتها من يد العرب. ومن يضمنمعرفة بالعرب تتيح المضي في هذا غير المستشرقين الذين عاشوا آنذاك بين ظهراني العرب في الحواضر الكبرى كما في البوادي فنقلوا معلوماتهم ومشاهداتهم لسلطات بلدانهم، حتى يتم التحضير السليم و الشامل لخوض معركة فاصلة ضد الإسلام و المسلمين وهكذا سار المستشرقون في ركاب الاستعمار الغربي سواء قديما أو حديثا ، فقدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستلاء على خيراتها وثرواتها[(64)].

ويتوسع بعض الباحثين في هذه الدوافع، فإضافة إلى اقتناعهم بأن الدوافع السابقة الذكر تمثل الأصل و القوة في حركة الاستشراق، إلا أنهم يضيفون إليها بعض الجوانب الأخرى التي كان لها دور في نشوء الاستشراق وتطوره، سنجملها في التالي باختصار.

2. **الدوافع النفسية:**

حيث أن الباحث لم تكن لتخمد نفسه أمام العجب الذي عاينه في الحضارة العربية وتقدمها، وهو الأمر الذي وجد فيه منبعا لا ينصب لإرواء عطشه المعرفي وإشباع فضوله وحاجته إذا نظرنا إلى جاذبية الشرق وروعة مآثره من قديم الزمان وما أحدثه الإسلام فيه، فإن الإنسان لابد أن يلهبه الشوق إليه [65]، فيدفعه أي المستشرق كل هذا إلى تحمل الصعاب و الصبر على الشدائد في سبيل الوصول إلى هذا المصير إضافة إلى الظمأ للتعرف على حياة الآخرين وأفكارهم، وأخبارهم وأسرارهم في الحياة دون أن نغفل الرغبة الشديدة في العيش و الرغيد و التظلل بظلال الحياة الكريمة المترفة.

3. **الدوافع الاقتصادية:**

---

[64]- مازن مطبقاني: " أهداف الاستشراق"، موقع مركز المدينة المنورة لدراسات الاستشراق ولبحوثه، www.madinacentre.com.

[65]- أحمد سمايلوفيتش: " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص41.

إذا نظرنا لفداحة الظروف التي كانت أوروبا تعيشها اقتصاديًا وقساوة يومياتها إبان حكم الكنيسة والاقطاع، فإن الفقر كان منتشرا جدًا لدى كل طبقات الشعب الكادحة من العمال و الفلاحين خاصة في المناطق النائية التي كانت إضافة إلى الفقر في المعيشة قاسية المناخ وبيئة وأمراض لا سبيل إلى ردها في ظل الجهل المنتشر و العقلية المتخلفة السائدة آنذاك، وهؤلاء المستشرقون الذين سافروا واستقروا ورأوا خيرات العرب، طلبوا لأنفسهم ولأوطانهم كل هذه الثروات عن طريق الغزو والإغارة وقطع الطُرق التجارية وكذا تجييش الجيوش لمحاولة دَحْرِ هذه القوة الإسلامية ونهب وسلب كل مقدراتها وبالتالي تحقيق الغنى و الرخاء. وكما أسلفنا فقد كانت الطريقة الوحيدة لتحقيق هذه الأهداف هي التنقل للشرق وتعلم لُغاته وعلومه بغية التَّمكن للسيطرة و التفوق عليه[66].

وإضافة إلى كل هذه الدَّوافع الهامة نجد دوافع فكرية إيديولوجية وأخرى تاريخية ذات ارتباط وثيق بحركية الصِّراع الوُجودي القائم منذ فجر الحضارة بين الشَّرق و الغرب ويمكن التَّوسع بالرجوع إلى مصادر هذا البحث[67].

[66]- أحمد سمايلوفيتش: " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص41.
[67]- المرجع نفسه، ص 45.

1- مراحل الاستشراق:

ونقصد بهذا الفصل دراسة التّطور التاريخي من حيث الآليات والأهداف التي ميّزت مسيرة الاستشراق عبر مختلف العصور منذ نشأته، وكذا محاولة فهم وجلاء أهم ما ميّز كل مرحلة من خصوصيات شكلت المناطق الحساسة في الصّورة، ورغم تنوع الآراء الخاصة بالموضوع بتنوع زوايا الطّرح وطرق الدّراسة وكذا الأهداف المبنية عليها، إلا أننا حاولنا قدر المستطاع أن نجد التوازن بين هذه الآراء، ونركز على النقاط المشتركة فيما بينها بغية الخروج بتقسيم معتدل يَروي الظمأ المعرفي ويحقّق المنفعة العلمية المُراعية للحقيقة التاريخية، كما أسلفنا فإن الباحثين اختلفوا في كثير من القضايا الخاصة بقضية موضوع الدّراسة – أي الاستشراق– ومن بينها المراحل التي مرّ بها في تطوّره التاريخي، ورغم أنّ الإختلاف لم يكن جذريا إلا أنّه يعبر عن اختلاف أو تنوع الزوايا التي مرَّ من خلالهاكل باحث في موضوعه المدروس.

لقد كانت أغلب التقسيمات التي صادفناها أثناء عملنا هذا تتفقعلى أن الاستشراق مرّ بثلاث مراحل أساسية شكلت عموده الفقري وشكلت صورة وجوده و دوره في الأحداث التّاريخية الخطيرة و الحاسمة التي عاصرها ولا يزال، وقد عملنا على أنّ تحقيق الحَّدْ الأدنى من التَّقارب بين كل هذه التقسيمات حتى نضمن – ولو بصفة يسيرة– عدم التنافر و التناقض، وكذا الحفاظ على تركيز القارئ وانتباهه، ويتم تقسيم مراحل الاستشراق حسب الدِّراسات إلى المراحل التالية:

- **المرحلة الأولى:**

ويُمكننا أن نطلق على هذه المرحلة عدة صفات أو أسماء " المرحلة التكوينية" [68]، أو "مرحلة الولادة" أو خاصةً "مرحلة الاستشراق الدّيني ". ولعَّل عنوان من هذه العناوين المرجعية التي ستتجلى فيما يأتي من السطور.

لقد انتشرت الدِّيانة المسيحية عن طريق حَوَارِيي المسيح الذين تفرقوا شرقا وغرباً عملاً على نشر تعاليمه وإيصال كلمته التي آمنوا بها واعتنقوها، فكثر أتباعهم خاصة في الولاية الرومانية الشرقية[69]، واجتازوا غيرها من المناطق بعيدة الشقة وصولاً إلى روما قلب الإمبراطورية الرّومانية، ورغم كل ما أصاب المسيحيين في هذا الزمان من اضطهاد وتنكيل، إلا أنهم أحسنوا الصّبر وبذلوا الأرواح دفاعا عن عقيدتهم [70]. واستمر هذا الاضطهاد للمسيحيين الأوائل حتى توقف على عهد الإمبراطور قسطنطين لأسباب سياسية أكثر منها عقيدية، كان أهمها هو رَأْب صرح الدَّولة المتصدعة و التي باتت على مشارف الإنقسام، المهم أن الطّريق أصبحت معبدّة أمام المسيحيين الذين أصبحت عقيدتهم هي الدّين الرَّسمي للإمبراطورية الرومانية.

فهكذا انتشرت واستمر توسيعها قبل ظهور الإسلام عن طريق الرُّهبان و التُّجار الذين وصلوا فعلا إلى الجزيرة فدخلوها واعين مبشرين، ونحن هنا لا نؤرخ للكيفية التي دخلت بها المسيحية هذه الأصقاع ولا الزمن الذي حصل هذا فيه، وإنما الذي يهمنا هو أنه وبفضل ما كان لكثيرٍ من المبشرين من مواهب وعلوم، فقد تمكنوا من استمالة العديد من رؤساء القبائل العربية الذين إستقبلوهم وهيؤ ا لهمالوسائل لنشر دعوتهم حيث توغلوا إلى مناطق نائية من الجزيرة العربية وعاشوا بين البدو يقاسمونهم شظف و قسوته وشاركوهم

---

[68]- أحمد سمايلوفيتش: " فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص 57.
[69]- المرجع نفسه، ص 70- 71. وينظر، ساسي سالم الحاج، " الظاهرة الاستشراقية"، ص 33- 36.
[70]- المرجع نفسه، ص 38.

في سكن الخيام [71] حتى أُطلق عليهم " أساقفة الخيام " ، وظلت المسيحية منتشرة في الجزيرة العربية حتى ظهور الإسلام الذي كان له معها شأن، ومن هنا كانت بداية العلاقة بين المسيحية والإسلام. ومنذ هذا اللِّقاء الأول و الصراع يزداد ويقوى كلٌّ حين وليس الأمر فقط لأن الإسلام كعقيدة وأسلوب حياة شامل بدأ يستميل قلوب النَّاس من العرب وغير العرب فقط، ويستولى كل حين على قلوب المزيد من المؤيدين، وليس فقط لأن دولة الإسلام بدأت تتوسع واستمر توسعها على حساب مناطق كان النفوذ فيها لبزنطة المُمَثلة للمسيحية، بل أيضا لأن العرب المسلمين أسَّسوا حضارة عالمية ذات أهمية بالغة في التاريخ البشري الذي نقلت إليه تراث الحضارات القديمة، بعد أنْ استوعبتها وصقلتها ، وأدخلت عليها أوجه التَّغيير و التَّبديل المطلوبة[72].

وكما أسلفنا فالصِّراع صار صراعًا على وجود لا على حدود. ومنذ الوهلة الأولى و الغرب المسيحي مشدود أمام عظمة النَّهضة التي خرجت من جزيرة العرب، مذهول أمام سرعة إنتشارها مُرعبْ من قدرتها على التَّوسع وكسب القلوب أمام هذا السَّيل الجارف، كان لابد من وقفةٍ.

فكانت هذه الوقفة من رجال الدِّين المسيحي من أساقفة ورهبان وغيرهم بغية وقف هذا الزَّحف و للوصول إلى هذا الهدف كان لابد من معرفة مدى قوة الإسلام، معرفة نقاط قوته وخاصة نقاط ضعفه، معرفة مبادئه وتعاليمه و العمل عليها لنقده ونقضه، ولم تتسن الفرصة المناسبة لفعل ذلك بالشكل المطلوب إلا إبَّان ظهور الدولة الأموية في الأندلس و الطفرة الحضارية والإنسانية التي تحققت آنذاك، فكان لهذا المعبر التَّاريخي بين الشَّرق و الغرب دورٌ هام في تهيئة الأجواء الأولى للبعثاتالتي على إختلافها من مناطق تواجدها، حملت بين أحضانها أشخاصا كان هدفهم البعيد هو دراسة الإسلام لمعرفة كيفية مجابهته،

---

[71]- سامي اليافي: " الحضارة الإنسانية بين الشرق و الغرب"، مطبعة العالم العربي، (د.ت)، ص 48.
[72]- ساسي سالم الحاج: " الظاهرة الاستشراقية"، ص 38- 39.

ومن بين أشهر هؤلاء نجد " جربيري دي أورلياك Gerbert de aurilk الفرنسي الذي تُدرج في السِّلك الكهنوتي حتى اعتلى أخيرا سدة البابوية سنة 999م، ولم يكن " دي أورلياك " وحده الذي أُبتعثَ إلى الأندلس وحواضرها بل كان هناك كثيرون غيره حملوا على كواهلهم هذه المهمة الشاقة ومن بين هذا الكثير كان هنالك من درس القرآن وتعاليم الإسلام فقط لينشر ما يستطيع من أفكار مغلوطة عنه لدى مسيحي الغرب و التركيز عليها لإظهار المسلمين في صورة بعيدة عن الواقع، صورة تظهرهم كمتوحشين سافكي الدِّماء وثنيين. ومن أشهر هؤلاء نجد " بطرس المبجل " الذي إعتبر الإسلام في حقيقته ما هو إلا هرطقة مسيحية هي آخر الهرطقات وأشدها ضررًا، كما إعتقد أن التَّحدي الإسلامي لم يجد إجابة مسيحية مناسبة حتى أيامه[73]. ومن أجل أعماله التي رغم هدفه المعلن منها إلا أنها تبقى ذات قيمة معرفية وتاريخية بالخصوص نجد ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية لأول مرَّة وذلك سنة 1143م.

ولا أدل على صحة هدفه من أقواله حيث يقول: " إذا بدا أن العمل الذي أدعوا إليه غير ضروري لأن العدو لن يتأثر بهذا السلاح، أُجيب أن بعض الأعمال تتم من أجل ضروريات الدِّفاع، ومن هذا هو العمل الذي أقوم به أنا فإذا لم يكن بهذا الطريق إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فلا أقل من أن يستفيد العلماء المسيحيون من علمنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السذج الذين يمكن أن تصير هذه الصغائر عقيدتهم[74].

وظلت العقلية الغربية المسيحية تفكر بهذا الشكل إلى ما قبل الحروب الصليبية إذا كانت على معرفة ناقصة جدًّا بالشرق وإن لم يكن لها عذر في ذلك ومع أنها كانت تعايش الأندلس الإسلامية، إلا أنَّ التعصُّب الدِّيني الشديد لم يدع لها مجالاً كافيًا للتفكير بطريقة موضوعية ومحايدة هدفها هو الوصول إلى الحقيقة مهما كان لونها أو جنسيتها، ومهما

---

[73]- المرجع السابق، ص 39.

[74]- المرجع السابق، ص 40.

كان من الأمر ومهما قيل، فإننا يجب أن نُقرّ بأن ما حدث إبّان هذه المرحلة الأولى أو الطور الأول، كان له عظيم الأثر في رسم العلاقات وخطوطها العريضة بين الشّرق المسلم و الغرب المسيحي، هذا الأثر الذي ألقى ولازال يُلقي بظلاله إلى يومنا هذا.

- **المرحلة الثانية:**

لقد كان للجهود التي قام بها المستشرقون الأوائل، المرهبون منهم خاصة و الدعاية التي حملوا لواءها ضد الإسلام كعقيدة وأسلوب حياة وعلى المجتمع و الدولة الإسلامية عليهم لكيانين يمثلان الإسلام، نقول كان لهذه الدعاية أثرها في خلق نوع من التوجس.

و الخيفة أوّل الأمر، لكنها سرعان ما تحولت إلى حقد وكراهية متأصلين وإلى عداء لا متناه لكل ما يمثل الدولة العربية الإسلامية وكل ما يميت إليها بصلة قريبة كانت أو بعيدة، وخاصة في الأوساط الشعبية و الطبقات الكادحة التي كانت تحت رحمة سلطة الكنيسة في أغلب أصقاع أوروبا، وقد عمل هؤلاء الدُّعاة الذين أدركوا مدى قوّة الدّين الإسلامي، يجد إجتهاد على استشارة العواطف الدّينية لدى الشعوب الأوروبية الغارقة في الجهل و الجهالة، إلى جانب نشر أفكار مغلوطة عن الشعوب العربية آنذاك وعن عاداتها وتقاليدها وتصويرها كأنَّها جيوش من الفيلان لا غاية من وجودها إلا سفك الدماء وقتل الآخرين و التخريب و الدمار اللامبرر. كل هذا إضافة إلى بداية ظهور الأطماع المادية و السياسية لدى حكام أوروبا تجاه الشرق نظرا للخيرات و الكنوز التي تزخر بها المنطقة وإستراتيجية المكان وأهميته بالنسبة للتجارة وغير ذلك. كل هذا الزعم المستمر عبر قرنين من الزمان، في ظِّل شَّد وجذب وصدامات عديدة زاد إحتكاك كل طرف فيها بالآخر كما زادت معرفته به، فكان ذلك مقدمة لحدث مهم جدًا في تاريخ العلاقة بين الشَّرق و الغرب، حدث سيكون له وزن وأثر عظيم على مستقبل كلا الجبهتين المتصارعتين.

ونحن هنا نتحدث عن الحروب التي سمّاها الغرب " حروب الإسترداد" وسمّاها العرب المسلمون " الحروب الصليبية " جاءت الحروب الصليبية وتعبيرًا عن الشعور بالتحدي الذي كانت الحضارة الإسلامية بكل تجلياتها تمثله للغرب وشكلت تلك الحروب نمطًا صِداميا في العلاقات الأوروبية مع العالم الإسلامي يوم ذاك بحيثإستمرت تستنزف أوروبا ديار المسلمين على السواء طوال ثلاثة قرون متوالية بعد بدايتها عام 1097م

ونهايتها عام 1291م عندما انتصر المماليك في معركة " عَكَا" التي كانت النهاية لتلك الحروب الدموية[75].

وإن كان هذا الجانب هو الطاغي على مكانة وصورة الحروب الصليبية في الذاكرة الشرقية العربية، فإنها ومن جانب آخر مثلت نقطة تحول في مسار الاستشراق الأوروبي، إذًا ومن خلال التغلغل الذي قامت به القوات المسيحية تمكن المستشرقون ولأول مرة ربّما من الإقتراب فعلاً من المخزون المعرفي الهائل الذي كانت تزخر به مكتبات الشرق ودكاكينه والإستفادة بطريقة مباشرة منه، خاصة في نقل بعض العلوم التطبيقية، كالرياضيات، و الفلك، و الطِّب و التي كانت أوروبا في أمس الحاجة إليها لتطوير وسائل لحماية البشر ولكن خاصة للبدء بالخروج من تلك الظلامية التي كانت تسد كل طريق نحو التحضُّر و التحرُّر، وبالتالي التأسيس لنموذج حضاري يتخذ علوم العرب أساسًا له، فعلى سبيل المثال عندما اضطر المسيحيون للخروج من بلاد العرب عَقِبَ معركة " عكا " وذلك بصفة نهائية آنذاك، رافق ذلك الخروج الإستلاء على الآلافمن الكتب و المخطوطات العربية، ونقلت إلى المكتبات الأوروبية المختلفة[76].وأغلبها لا يزال في هذه المواطن إلى يومنا هذا، ولقد كانت من النتائج الملفتة للنظر لهذه الحروب، إنَّ الحماسة الدينية التي دفعت الصليبيين الأوائل لخوض الحرب قد خبت وخبا معها المنطق العسكري بكامله، فاتجهت القرائح إلى طريقة وحيدة للعودة لهذه الدِّيار ألا وهي الطريقة السلمية، ومن أشكالها على سبيل المثال عودة البعثات العلمية، ومواسم الحج إلى القدس، إضافة إلى الرحلات التجارية، وبالتالي إلتقت أهداف الرهبان و التُّجار على اختلافها في المطالبة و السعي للعودة للشرق.

هكذا إستمر سعي الأوروبيين نحو المخطوطات العربية، فجلبوا منها الكثير كما أسلفنا، وكانت أيضًا هدفًا مقصودًا لبعض غارات الصليبيين على قوافل العرب، ومن

---

[75]- ساسي سالم الحاج: " الظاهرة الاستشراقية "، ص 44.

[76]- المرجع نفسه، ص 44.

الشواهد على ذلك ما أورده الفارس العربي " أسامة بن منقذ " في كتابه الشهير (سيرته الذاتية) " الإعتبار " إذ يقول: " فهون على أسامة أولادي وأولاد أخي، وحرمنا ذهاب ما ذهب من المال، إلا ما ذهب لي من الكتب، فإنها كانت أربع آلاف مجلد من الكتب الفاخرة، فإن ذهابها حزازة في قلبي ما عشت" [77]. وهكذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن سوق الكتب العربية كانت سوقًا ذات رواج، وإنها كانت سلعة مطلوبة وغالية في نفس الوقت.

وقد كانت الحروب الصليبية آنذاك جديدًا نحو معقل هذه المخطوطات في الشرق، ولكن لم يكن ذلك فقط أثناء الحروب، بل استمر على مدار القرون التالية[78].

هذه الأسباب و الغايات مجتمعة أدّت إلى زيادة الإهتمام بالشرق والإنكباب على تراثه الذي انتقل إلى أوروبا عن طريق المعابر الجغرافية المعروفة[79].

أيضًا لا يفوتنا ذكر سب آخر مهم دفع المسيحيين إلى تعليم وتعلم اللُّغة العربية و اللُّغات الشَّرقية الأخرى وهو الرَّغبة في التبشير خاصة في ظل العجز الذي أظهره الرهبان و المبشرون، وذلك لأسباب أهمها جهل المبشرين بلغات الشعوب التي يراد التبشير بها.

والجهل بعقائد من يراد تبشيرهم وعدم التمكن من الحجج و البراهين الفلسفية و العلمية التي تتخذ كأساس لدعوة غير المسيحيين[80].

فكان الإندفاع إذًا لتعلم اللُّغة العربية خاصة، ولغات الشَّرق عامةً مبررًا ومطلوبًا، وكذا التزود من العلوم العقلية كالفلسفة وعلم الكلام وما شابه. ومُنذ ذلك العهد بدأت المعاهد و الجامعات التي عملت على نشر العلوم العربية و اللُّغات الشَّرقية في الإنتشار

---

[77]- سامي ذبيان: " ألف عام من الصدام بين العرب وأوروبا "، مجلة ألف، العدد الأول، 2003م، ص 38.

[78]- ساسي سالم الحاج: " الظاهر الاستشراقية"، ص 49 - 50.

[79]- أحمد درويش: " نقلا عن " الاستشراق الفرنسي والأدب العربي"، دار غريب القاهرة، 2004، ص 21. لأسامة بن منقذ " الاعتبار" تحقيق فليب حتى، ص 25.

[80]- ساسي سالم الحاج: " الظاهرة الاستشراقية"، ص 50.

وكانت أوّل مدرسة أُنشئت للدِّراسات الشرقية هي مدرسة "طُليطة" التي أنشأها مجلس المبشرين عام 1250م، وكانت تدرس بها اللُّغتان العربية و العبرية[81]. كما نذكر منشور البابا " أنوسنت الرابع " الذي صدر في يونيه 1248م إلى مدير جامعة باريس بإنشاء كرسي للدراسات العربية والإسلامية بها[82].

ومما سبق جميعا نرى بوضوح أثر الحروب الصليبية في تقدم الاستشراق خطوات عملاقة، خاصة بعد قرارات مؤتمر " فيينا " الكنيسي، وظهور الطباعة في عهد متأخر نسبيا عن ذلك، كل هذا يبين لنا فعلا أن هذه المرحلة كانت فعلا مرحلة الإنطلاق و التَّقدم الحثيث للاستشراق وإن ارتبط في معظم فتراته بالتبشير و العمل الكنيسي.

[81]- ساسي سالم الحاج: " الظاهرة الاستشراقية"، ص 50.
[82]- المرجع نفسه، ص 51.

- **المرحلة الثالثة:**

خلال القرون التي تلت الحروب الصليبية وبعدها وبعد الجهود المُضنية التي قام بها أوائل المستشرقون من رهبان ورحالة ورجال دولة و التي أَتَتْ أكلها في إدراك أوروبا لحجم التّطور الحضاري الذي كانت تستقبل أمواجه متتابعة، وبعد زمن من إنشاء الجامعات و المعاهد و الدور التي قامت به في نشر ثقافة العرب وعلومهم هذا إضافة إلى تخريج دفعات من الطلاب الذين عملوا بدورهم على نشر تلك العلوم عدا على السير على درب الأوائل من شيوخهم و التمثيل بهم ومواصلة الرحلة في البحث و الدراسة و التنقيب عن النفائس الشرقية كلّ هذا ضمن اللُّغة العربية التي عرفت انتشارا واسعًا في الأوساط العلمية وبين النخبة المثقفة وصانعي القرار أيضا بوصفها لغة عالمية ولغة الحضارة و التقدم، ومن ثم فإن تعلم آدابها أخذ بأحد أهم أسباب النهضة المرجوة في أوروبا بأسرها ومن المشاهدة الشاهدة على ذلك ظهور أول أجرومية عربية طبعت في أوروبا وهي التي أصدرها " بطرس ذي القلعة Pedro De allcala " في غرناطة سنة 1505م، أمّا أول كتاب صدر في أوروبا بالأحرف العربية فقد كان كتاب " صلاة الهاوي " الذي طبع عام 1514م في البندقية[83].

ولا يجب أن ننسى حدثًا هامًا جدًا وخطيرًا في آن واحد، ذلك هو سقوط غرناطة الأندلسية سنة 1492م. إنَّ الاستلاء المتوالي على دويلات الطوائف هناك للغالب الإسباني الحصول على إرث من الكتب و المخطوطات التي لم يكن يحلم حتى بالنظر إليها، وذلك ما ساهم في فتح آفاق على المستشرقين غير متوقعة، فاستولوا على هذا التراث وجمعوه في مكتباتهم، وعكف عليه المستشرقون بحثًا وتحليلاً، ولم يتركوا جانبا من جوانبه إلاَّ وتناولوه بالدرس و التحليل و التحقيق، فتكونت لديهم معارف واسعة عن الشَّرق من حيث شعوبه وعاداته واقتصادياته وطرق تجارته، ومواطن القوَّة والضُّعف فيه، فنشأت دراسات تحليلية عن هذه الأصقاع أعطت صورة أوضح لما هي عليه وإن كانت أوروبا لا تزال

[83]- ساسي سالم الحاج: " الظاهرة الاستشراقية"، ص 51.

تعافي من إيديولوجيتها التعسفية[84]. إلاَّ أن ذلك لا يقلل أبدًا من إِعترافها الضمني بجدارة الحضارة العربية وليس أدل على ذلك من زيادة الإِحتياج إليها بوتيرة متصاعدة آنذاك وإن اختلفت الدوافع والأهداف.

ورغم سقوط الأندلس وحجم الثروة المعرفية التي باتت تحت أيدي المستشرقين وغيرهم من الهيآت كالمعاهد و الجامعات و المكتبات الكبرى في أوروبا إلاَّ أن ذلك أدّى إلى الزيادة في المعرفة بالشرق وأحواله لم يتوقف أبدا خاصة بعد سقوط " القسطنطينية" وبروز الدَّولة العثمانية كقوة كبرى على الساحة، هذه الدَّولة تمركزت ككيان مدافع عن الإسلام و المسلمين، مما دفع الغرب إلى محاربة الأتراك أوّلاً، ومنعهم من التوسع في أوروبا ثانيًا، وهو ما تم لهم فعلا عند قهرهم جيوش العثمانيين عند أسوار فيينا.

ومن الأمور المستجدة نوعًا ما في هذه المرحلة إتجاه جهود الإستشراق إلى الشرق عامةً بعد أن كان أغلب إهتمامهم منصبًا على العالم العربي الإسلامي فمن جهة نجد الاستكشافات الجغرافية الأوروبية وأثرها في تحويل طرق التجارة العالمية إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح، و الرحلة العظيمة التي قام بها " ماركو بولو " إلى الصين وما كشفه عن ثروات تلك الشعوب وحضاراتها المتطورة[85].

كل هذه الإنجازات ساهمت في تذليل الفوارق الجغرافية وفتح العالم على صفحة جديدة مقبلة متمثلة أساسًا في نموم أطماع الدَّولة الأوروبية خاصة في العوالم الجديدة المكتشفة من العالم الجديد [86]، إلى اكتشاف الصين وعالمها السحري، إلى الوقوف على روعة الهند ومدى أهمية موقعها الجغرافي سياسيًا واقتصاديًا[87].

---

[84]- أحمد سمايلوفيتش:" فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، ص 77.

[85]- ساسي سالم الحاج: "الظاهرة الاستشراقية"، ص 57.

[86]- تعريف " العالم الجديد": لفظة أطلقت على أمريكا الشمالية لدى اكتشافها أواخر القرن 15 على يد كريستوف كولومبس سنة 1492م.

[87]- ينظر، جوزيف نسيم يوسف:" دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في القرون الوسطى"، الجامعة للطباعة و النشر و التوزيع،1988م.

طمع الغرب إذًا في الإستلاء على هذه الأصقاع و الهيمنة على مقدرتها المختلفة وهذه المشاريع وغيرها ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتم دون أن تسبقها دراسات مفصلة لإعطاء فكرة واضحة لا غموض فيها، وقائمة على أساس منهج علمي دقيق من البحث و التَّحليل توطئة في الأخير الإستعمار على هذه الأصقاع.

وليس هناك من يستطيع القيام بمهمة إعداد هذه التقارير بجدارة وعزيمة أكثر من المستشرقين و المبشرين أيضا، فسخرت لهم حكوماتهم المال الوفير و الحماية اللازمة لإنجاز رحلاتهم إلى شتى أصقاع الشرق وإتمام مهماتهم، وقد قام المستشرقون و المبشرون بدورهم على أكمل وجه اتجاه حكوماتهم، فقدّموا إليها ما تحتاج إليه من تراث الشرق لفهم عقليته وأمزجته وتفاصيل كينونته ومما ساعدهم على ذلك اختلاطهم بأهل تلك الشعوب تجارًا ورحالةً ومبشرين وطلابًا وقناصل.

ممّا سبق نستطيع أن نطلق على هذه المرحلة من تاريخ الاستشراق" مرحلة التجسيد" أو " مرحلة الإثمار" أين بدأت بالفعل تظهر ثمار عمل المستشرقين وجهودهم التي إستمرت طيلة قرون عديدة متتابعة ميّزها الجِّد و النشاط و التفاني في طلب العلم و البحث و الدّراسة و التحليل، وقد كان العمل اللاَّحق لهذه القرون وكذا الاكتشافات العديدة سواءً الجغرافية أو العلمية كظهور الطباعة وما صاحبها من ثروة في تاريخ البشر كافة، تجسيد رائع لروح الاستشراق، إضافة إلى أهم ما ميّز جهود المستشرقين في هذا العصر ألا وهو التمهيد لظهور الإستعمار الغربي في القرون اللاَّحقة.

والآن وبعد هذه اللمحة الموجزة عن مراحل الاستشراق وأهم ما ميّز كلّ مرحلة بذاتها، نمر إلى الحديث عن أهم المدارس الاستشراقية الغربية مع إلقاء الضوء على بعض أهم رجالاتها.

المبحث الثاني: أهم المدارس الاستشراقية:

1. <u>المدرسة الإيطالية:</u>

إنَّ البدء بالمدرسة الإيطالية ليس إلاَّ إيفاءً للمنطق و التاريخ، فإيطاليا كانت أعرق أمم الغرب التي إتصلت بالشرق الأدنى إتصالاَ وثيقا منوّعًا، ونالت الثقافة العربية و اللُّغات الشرقية من الترجمة و الحفظ و التعلم ونشر بفضل الفاتيكان حظًا موفرًا[88].

وبالتالي فليس من المبالغة القول أن إيطاليا مهدًا للدراسات العربية والإسلامية في أوروبا من المعروف جدًا دور الفاتيكان و الباباوات المسيحيين في التأسيس للدراسات الاستشراقية وفيما يلي بعض أهم أعلام الاستشراق الإيطالي:

أ - إغناطيوس جويدي (1844م - 1935م)Guidilgnazio: مولود في روما، تعلم العربية فيما ثم صار أستاذًا لها في جامعتها منذ سنة 1885م، انتدبته الجامعة المصرية أستاذا للآداب العربي تاريخيًا وجغرافيًا سنة 1908م، يعد بحق شيخ المستشرقين في اللُّغات السَّامية، خاصة السريانية و الحبشية. أثاره كثيرة تنوعت بين كتب و محاضرات ومقالات نقدية، من أهمها نجد: نماذج من الكتابة الكوفية 1888م، كتاب الأفعال وتصريفها لإبن القوطية (1894م)، ودراسة نص كليلة ودمنة (1873م).

ب -الأمير ليوني كايتاني (1096م - 1926م)Leone Caetani: ولد في روما ودرس وتخرج من جامعتها، تعلم وأتقن سبع لغات كبرى منها العربية و الفارسية. كان ثريا وقد سمح له ثراؤه بإشباع رغباته المعرفية حيث كان عاشق للثقافة عامة و العربية على وجه الخصوص تنقل بين عدة عواصم عربية مثل بيروت ودمشق و القاهرة وكذا دلهي عاصمة الهند، وجمع مكتبة شرقية زاخرة بالمخطوطات النفسية، ومن أهم مؤلفاته: حوليات الإسلام (روما 1912م -13 -

[88]- نجيب العقيقي: " المستشرقون"، ص 405.

14-15-16-26)، إنتشار الإسلام وتطور الحضارة (بولونيا 1912م) و التاريخ الشرقي: سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (ميلانو 1914م)[89].

ج -كارلونالينو (1872م - 1938) AffonnoNallino: من مواليد مدينة تورينو، درس التعليم في اللغة العربية في جامعتها، صار أستاذا للعربية في المعهد العلمي الشرقي في نابولي (1894م-1902م)، ثم أستاذ في جامعة بالرمو ورما بعد ذلك حيث أنشأ له خصيصا كرسي للتاريخ و الدراسات الإسلامية (1915م) منذ سنة (1909م) وهو يحاضر باستمرار في مصر، ومن أهم آثاره تكوين القبائل العربية الإسلامية (1983م)، فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية لمجمع العلوم في تورينو (1901م) شعر ابن الفارض و التصوّف الإسلامي (1919م) -20- وغيرها الكثير[90].

2. <u>المدرسة الإنجليزية:</u>

أنشأت أوّل أقسام اللُّغة العربية في الجامعات البريطانية بين عامي 1632م، 1636في جامعتي كمبريدج وأكسفورد على التوالي، في البداية كان الطابع الفردي هو الغالب على الدِّراسات العربية الإسلامية في بريطانيا، إلا أنه ومع مرور الوقت بدأت المراكز و الجامعات الاستشراقية بالظهور و التطور بدأً بالمراكز التي أنشأتها شركة الهند الشرقية لتكوين موظفين ومترجمين في سبيل استكمال احتلال الهند كافة، إلى غاية سنة 1916م سنة نشأة مدرسة الدِّراسات الشرقية والإفريقية التي استمرت وتطورت حتى أصبحت رائدة الاستشراق البريطاني عامة في العصر الحديث ومنارة له، ونجد من أهم من مثَّل الاستشراق في إنجلترا[91]:

89- المرجع السَّابق، ص 152.

90- عبد الرحمن بدوي، " موسوعة المستشرقين"، دار الفكر العربي، 1996م، ص 150.

91- برهان فوك، " تاريخ حركة الاستشراق"، تر: محمد لطفي، ص 83.

أ – دافيد صاموئيل مرجليوت (1858م– 1940م) David Samuel Margoliouth: من المستشرقين الإنجليز المشهورين بعلاقتهم بالأدب و التاريخ العربي الإسلامي ومن الطريف أن نعرف أن بدايته العلمية كانت مع دراسته اليونانية واللاتينية، وأنَّ أهم اهتمامه كان باللّغة العربية كان بعد ذلك بزمن حيث تعلم العربية ودرس تاريخ العرب المسلمين وآدابهم، وقد اقترن اسمه بنظرية النّحل التي نقلها الراحل طه حسين في كتابه " في الشعر الجاهلي" و التي يشكك فيها في صحته وتاريخيه الشعر العربي ويدعي فيها أن أغلبه إن لم نقل كله موضوع. من مؤلفاته نجد: نشر كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (1915م)، ورسائل أبي العلاء المعري1919م عدا عن كم معتبر من المقالات و التأليف المتنوع[92].

ب –أرثرجون أربري (1905م– 1969م)Arthur John Aberry: من مواليد مدينة بورتسموث جنوب بريطانيا، عكف بعد التحاقه بجامعة كمبريدج على دراسة اللاتينية و اليونانية ثم سرعان مازاد على ذلك دراسة اللُّغة العربية بتوجيه من أحد أساتذته ورحل لأجل ذلك إلى مصر لاستكمال معرفته باللُّغة العربية وآدابها، وهناك عمل في كلية الآداب بجامعة القاهرة رئيسا لقسم الدّراسات القديمة. أصدر خلال حياته أعمالا متنوعة بين اللاَّهوتي و التاريخي والأدبي وغيره ومنه نجد: " ترجمة معاني القرآن الكريم " وهو من أهم آثاره إن لم يكن الأهم فعلاً و التي صدرت سنة 1955م، ترجمة مسرحية " مجنون ليلى " لأحمد شوقي"[93].

ج –برنارد لويس (1916م) Bernard Leuis: التحق بجامعة لندن ودرس بها التاريخ ثم كان انتقاله إلى فرنسا للحصول على دبلوم الدراسات السامية سنة 1937م حيث كان المستشرق الفرنسي الشهير لويس ماسينيوس من بين أساتذته هناك حصل

---

[92]- نجم الدِّين غالب الكيب: " شخصيات من الشرق و الغرب"، ار الكتاب اللبناني بيروت، 1960، ص 112.

[93]- بوهان فوك: "حركة الاستشراق"، تر: عمر لطفي، ص 86.

على الدكتوراه سنة 1939م، في مدرسة الدِّراسات الشرقية والإفريقية، أصبح أستاذ كرسي التاريخ سنة 1957م.

يعد برنارد لويس من أغزر المستشرقين الإنجليز إنتاجا خاصة في كل ما له علاقة بالتاريخ العربي الإسلامي، كما اتجه في السنوات الأخيرة إلى الكتابة عن المجتمع الإسلامي المعاصر وظواهره[94].

3. <u>المدرسة الروسية:</u>

لها علاقة وثيقة بالعالم العربي الإسلامي منذ العصر العباسي وتبادل السفارات بين الخلافة والإمبراطورية، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن روسيا أو الإتحاد السوفياتي وبحكم ضمّه لعدة جمهوريات مسلمة تحت مظلته فقد كانت علاقتها بثقافة وعادات هذه الجمهوريات قائمة على نوع من الإحتكاك و المعرفة التي تتيح لها التعامل معها بما يناسبها دون غيرها وفي الجانب الأكاديمي فلا تكاد تخلو جامعة روسيا اليوم من كراس اللُّغة العربية و التاريخ الإسلامي، ومن أهمها جامعة موسكو المركزية، جامعة قازان التاريخية، وجامعة بطرسبرغ، بالطبع فإن هذه المراكز الاستشراقية قد ساهمت في تخريج عدد لا بأس من المستشرقين اللاَّمعين الذين حملوا لواء الاستشراق الروسي، ومن أهمهم[95]:

أ - إغناطيوس كراتشكوفسكي (1883م-1951م) Krachovskiylgnazi:

رائد الاستشراق الروسي المعاصر و الحامل لوائه فلا يذكر أحدهما دون الآخر أبدًا. درس اللُّغات اليونانية واللاَّتينية، ثم اعتمد على نفسه في درس العربية، ثم إلتحق سنة 1901م بكلية اللُّغات الشَّرقية في جامعة بطرسبرغ ودرس فيها اللُّغات التركية و الفارسية و العبرية...

---

[94]- بوهان فوك: المرجع السابق، ص 90.

[95]- المرجع نفسه، ص 130.

اهتم بالشعر العربي في العصرين الأموي و العبّاسي[96].

ب –ليونيد إيفانوف (1886م – 1970م) Ivanov – I: اهتم بدراسة الفرقة الشيعية الإسماعيلية في مصر[97].

ج –ف.ف بارتولد (1869م – 1930م) V.V Barthold: درس التاريخ الإسلامي في جامعة سان بطرسبرغ ثم عمل فيها أستاذًا للشرق الإسلامي وتاريخه. اهتم بدراسة المصادر الكبرى للتاريخ الإسلامي، كما اهتم بدراسة مؤلفات ابن خلدون خاصةً نظريته في الحكم. أُنتخب عضوًا في مجمع العلوم الروسي، ورئيسا للجنة المستشرقين[98].

4. <u>المدرسة الأمريكية:</u>

مقارنة بالمدارس الاستشراقية الأوروبية خاصة، فإن الاستشراق الأمريكي جاء متأخرًا وذلك لأسباب عديدة منها التاريخية (تأخر ظهور الولايات الأمريكية المتحدة إلى الوجود) وقلة نفوذها مقارنة بفرنسا أو إنجلترا في الوطن العربي مع بدايات القرن التاسع عشر و العشرين) ومنها العلمية و التقنية (عدم ظهور المراكز الاستشراقية وتعزيزها بالمستشرقين الأكفاء إلا أخيرًا). إلاّ أن ذلك لم يدم طويلاً، وبمساعدة من بريطانيا وبشراكة معها بدأت الجامعات الأمريكية تكون مكتباتها الخاصة من المخطوطات العربية النفيسة.ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية انتدبت الجامعات الأمريكية عددًا كبيرًا من أعلام المستشرقين، الإنجليز منهم خاصةً وافتتحت مراكز عديدة بمعية هؤلاء مثل مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد الذي أسسه الإنجليز النابه السير هاملتون جب.

ويحسب للمدرسة الأمريكية أنّها خطت بالاستشراق خطوات جديدة جعلته يتجه أكثر نحو الإختصاص و التخصص أكثر فأكثر فأصبحت الدراسات أكثر دقة في منطقة

---

[96]- عبد الرحمن بدوي: " موسوعة المستشرقين"، ص 37

[97]- المرجع السابق، ص 38

[98]- المرجع نفسه، ص 39

معينّة وفي فرع من فروع المعرفة دون غيره. من أهم من مثل المدرسة الأمريكية في الاستشراق نجد[99]:

أ - جورج سارتون (1884م- 1956م) George Sarton: بلجيكي الأصل، كان اختصاصه العلوم الطبيعية و الرياضيات، درس العربية في بيروت في الجامعات الأمريكية هناك ألقى محاضرات كثيرة حول أحداث التاريخ الإسلامي وفضل العرب على الفكر الإنساني، من أهم انتاجاته و التي و التي ركزّ فيها على دور العرب المسلمين في الحضارة الإنسانية كتابه المهم " المدخل إلى تاريخ العلل[100].

ب -دنكن بلاك ماكدونالد (1863م - 1943م): من أصل إنجليزي، بدأ حياته العلمية في اسكتلندا، وبعد انتقاله الأوّل، إلى برلين أين تتلمذ على بعض المستشرقين الألمان وأخذه عنهم، توجه إلى أمريكا عام 1883م من أجل تعليم اللُّغة السَّامية. تنوع اتجاهه بين الدراسات الشرعية و الدراسات اللُّغوية من أهم أعالمه تأسيسه " مجلة العالم الإسلامي" ومع جمع م المستشرقين و المتخصصين الأمريكيين سنة1911م[101].

ج -غوستاف فون غروناوم (1909م- 1972م) Gustav Von Gurnhaum: نمساوي المولد . درس في جامعة فيينا، ثم جامعة برلين هاجر إلى الولايات المتحدة والتحق بجامعة نيويورك سنة 1938م، ثم ارتحل إلى جامعة شيكاغو، ليستقر به المقام في جامعة كاليفورنيا حيث جدّ واجتهد وكان له الفضل الأكبر في تأسيس مركز دراسات الشرق الأوسط بها، من المهتمين بدراسة الأدب العربي، ومن أهم كتبه المعروفة: " الإسلام في العصر الوسيط"[102].

---

[99]- يوهان فوك: "تاريخ حركة الاستشراق"، ص 223.
[100]- المرجع نفسه، ص 228.
[101]- المرجع نفسه، ص 231.
[102]- المرجع نفسه، ص 233.

هذا وفضلاً عن هذه المدارس التي سقناها أمثلة ونماذج، فإن هناك مدارس أخرى متميزة مثل المدرسة الهولندية، و المدرسة الألمانية و المدرسة اليوغسلافية، ولكل منها رجالاتها الذين لهم مكانتهم في تاريخ الاستشراق.

تمهيـــــــــد

كانت العلاقة الثقافية بين فرنسا و الشرق العربي الإسلامي عامة، و الشرق الأدنى خاصة علاقات حيوية نشيطة، فرغم اختلاف درجاتها بين التنافس و التعاطف، والانجذاب و التنافر، وكذا محاكاة النموذج الآخر و البحث عن نقيضة إلا أنها لم تنجح أبدًا إلى التّفاعل أو التجاهل، وذلك منذ اللّقاء التاريخي الأوّل بينهما متحاربين إثر غزو جيوش المسلمين جنوب فرنسا واحتلال ما شاء التزامها من أن تحتل من مدن وقلاع، وبالرغم من خسارة المسلمين بقيادة " عبد الرحمن الغافقي " لمعركة " بواثيه" (بلاط الشهداء) سنة 732م[103]، إلا أن الإحتكاك مستمد عسكريا.

وإنْ اقتصر على الجنوب الفرنسي دينيًا أو ثقافيًا.

[103]- بن براهيم الطيب: " الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة بالجزائر"، دار المنافع، 2004م، ص 55.

المبحث الأوّل: تاريخ العلاقة الثقافة بين فرنسا والعالم العربي

لقد كان لهذا الصدام أثر قوي في وعي كل طرف بالآخر، خاصة وعي الغرب – ممثلا في فرنسا – تجاه الوجود الإسلامي العربي، بل إن نشأة ما عرف فيما بعد بالأدب الفرنسي، وربّما كانت مدينة لهذا الصدام ذاته، فبعد أقل من خمسين عامًا على موقعة بلاط الشهداء، حدثت موقعة " رونسيغو" سنة 778م بين المسلمين و الفرنسيين الذين كان يقودهم رولاند ابن أخ الإمبراطور شارلمان، وأصبح رولاند بطلاً لملحنة شعرية...أصبحت النواة الأولى لاستقلال الأدب الفرنسي عن اللاتينية [104]. هكذا وجدت فرنسا نفسها في مواجهة الزحف الإسلامي العربي باعتبارها بوابة لباقي أوروبا. وكان لتصديها لهذا الزحف الداهم أثر قوي ليس في فرنسا وحدها بل في كل أوروبا، حيث أصبح شارل مارتل بطلاً وأصبحت فرنسا حامية للمسيحية كلّها ورمزًا للتضحية في سبيل الكنيسة. وبما أنّ الوجود العربي الإسلامي قد فرض نفسه على الجميع. فقد كان لزاما – كما أسلفنا في الفصل السابق– أن يحدث تقارب من نوع ما بين فرنسا و الغرب من جهة و المشرق الإسلامي من جهة ثانية، وسنجد أن استقرار المسلمين الفاتحين في المدن و القلاع الفرنسية الكثيرة – أغلبها في الجنوب– واحتكاكهم بأهلها جعل هذا التقارب أكثر إمكانية وأكثر أمانًا خاصة إذا علمنا أن النموذج الحضاري العربي حاز إعجاب ورضا كثير من الأقليات العرقية التي كانت تعيش تحت حكم الإفرنج[105].

خلال ولاية شارل مارتل نفسه، أمّا الذي يهمنا أكثر في هذا المقام فهو سعي الطرف الغربي الفرنسي إلى استكشاف حقيقة هذا العدو الذي لم يكن في الحسبان، وهو ما يضعنا أمام إرهاصات نشوء علم الاستشراق الفرنسي منه خاصة، وإنه لمن المسلم به

---

[104]- أحمد درويش: " الاستشراق الفرنسي والأدب العربي"، دار غريب، 2004م، ص 18.
[105]- المرجع نفسه، ص 19.

القول أن المدرسة الاستشراقية الفرنسية من أقدم وأعرق المدارس الغربية في الميدان، ومن أقوالها حضورًا منذ ظهور طلائع المستشرقين الأوائل المعروفين، وليس أدل على ذلك من أن أقدم مستشرق معروف متفق عليه ليس إلاّ الفرنسي " جربرت دي أوريلياك " السابق الذكر في الفصل السابق والذي استمر تلامذته ومن اتبعهم في الميدان ذاته في بذل الوقت و الجهد و المال للوصول بالدراسات الشرقية في بلادهم خاصة التاريخية و الدينية والاجتماعية منها إلى مصاف ضروب العلم الأخرى التي كانت تحضى بمكانة مرموقة ومحترمة، وعودا إلى ما سبق نقول إن اللِّقاء العسكري الأوّل بين الفرنسيين و الفاتحين المسلمين ولّد لدى الطرف الفرنسي رغبة ملحة في معرفة سرّ قوّة هذه الحضارة الوليدة، هذه الرغبة هي التي دفعت الفرنسيين في فترة ما بعد المواجهات الساخنة إلى البحث عن المنجزات الحضارية العربية والعكوف على دراستها والاستفادة منها.

ولقد تجلى هذا في فترات مبكرة منذ القرن الحادي عشر الميلادي فحين سقطت " طليطلة " سنة 1085م في يد الملك الإسباني ألفونس السادس، سارع العلماء الاسبان والفرنسيين... إلى العكوف على كنوز المخطوطات العربية في المدينة المستسلمة لدراستها وترجمة جانب منها[106].

ويبدوا أنّ هذه المخطوطات قد حوّلت طليطلة إلى كعبة للدارسين من أرجاء أوروبا وفرنسا خاصة، يلتقون جميعا ويحاولون ترجمة ما يستطيعون ترجمته من العربية إلى اللاتينية لغة الثقافة المشتركة لجنوب أوروبا آنذاك . ودفع هذا الحماس بعضهم إلى المدن البعيدة، فهذا المطران ريمون – مطران قشتالة – كوّن فريقا من المترجمين الفرنسيين واليهود و العرب قدموا باكورة التراجم عن العربية لمؤلفات " ابن سينا و الكندي و الفرابي وابن رشد"[107].

---

[106]- المرجع السابق، ص 20.

[107]- المرجع نفسه، ص 20.

ولم ينقطع سعي الفرنسيين نحو المخطوطات العربية النفيسة و البحث عنها، بل استمر وتتابع بوتيرة متباطئة أحيانا متسارعة أحيانا أخرى حسب الظروف السائدة في كل مرحلة، فنرى أن الوتيرة ما لبثت أن أخذت تتسارع وتخطوا خطوات مهمة أثناء فترة الحروب الصليبية التي أعطتهم منفذا جديدًا نحو معاقل هذه النفائس من المخطوطات و الكتب في الشرق، فجلبوا منها الكثير[108].

وصل الأمر في بعض الأحيان إلى أنها صارت – أي المخطوطات – هدفا لبعض غاراتهم و الحادثة التي رواها الفارس العربي الشهير " أسامة بن منقذ" خير دليل على ذلك[109].

وصار تزايد أعداد المخطوطات العربية القادمة من الأندلس تارة، ومن باقي مناطق الشرق تارة، ونشاط حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية خاصة، دافعا للقيام بإعداد إحصاءات بالمترجمات العربية إلى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر ميلادي. وقد أحصى" ليكليرك" ثلاثمائة عمل مترجم في القرن الثالث عشر، منها تسعون في الطب وتسعون في الفيزياء الطبيعية، وسبعون في الرياضيات و الفلك[110].

كل هذا إنما يدل على ازداد حركة البحث عن المخطوطات العربية النفيسة العمل على تصنيفها وفهرستها خاصة في فرنسا، فشكات – أي حركة الترجمة– إحدى الظواهر الثقافي المهمة خلال القرون التالية خاصة إبان القرنين السابع عشر و الثامن عشر الميلاديين، وعلى هذا النسق استمرت رحلة البحث عن نفائس المخطوطات العربية بكل الطرق المتاحة، فمن جهة بعثات الطلبة الذين كان من نصيبهم حظ وافر من مكونات هذه الكتب ومن علمها الزاخر ومن جهة بعثات الرحالة و الحجاج و السفراء و المبعوثين

---

[108]- المرجع السابق، ص 20.
[109]- بن براهيم الطيب: " الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة بالجزائر"، ص 48.
[110]- أحمد درويش:" الاستشراق الفرنسي والأدب العربي"، ص 21.

الذين لم يألكلوا جهدا في اقتناء ما أتيح من الكتب و المخطوطات خاصة عن طريق شراءها من مختلف المناطق مثل " العامة العثمانية اسطنبول التي كانت مكتباتها العامة و الخاصة تهج بالمخطوطات العربية المجلوبة إليها من الولايات العربية المختلفة"[111].

كما كانت تجمع بعض المدن العربية الكبيرة على غرار دمشق وبغداد وغيرها من كبريات الحواضر الإسلامية.

ولقد كثرت المخطوطات العربية في المكتبات العامة و الخاصة في فرنسا، خاصة أنها كانت ميزة للتباهي زيادة على أهميتها العلمية و التاريخية، ووصل عدد المخطوطات حسب بعض الدّارسات(1683 مخطوطة سنة 1838م)[112]. وبالتالي تزايد الإحساس بأهميتها مما دفع لويس السادس عشر فيما بعد إلى مشروع طموح يهدف إلى ترجمة كل هذه المخطوطات العربية إلى الفرنسية [113]. لكنه مات قبل تحقيق مراده، وما فتئت الأمور تتحسن بالنسبة للفرنسيين وتسوء بالنسبة للدولة أو الخلافة الإسلامية.

فبعد الاتصال المباشر بين فرنسا و العالم العربي و الذي حدث في القرن التاسع عشر، انطلاقا من حملة نابوليون على مصر، واحتلال فرنساللجزائر سنة 1830م، ثم تواجدها بالمغرب، والشام وبعد ذل نقول بعد هذا الاتصال زادت روافد المخطوطات العربية التي بدأت من المستعمرات الجديدة والبلدان المنتدبة إلى المكتبات الفرنسية، وعلى سبيل المثال الدال على قوة هذه الروافد الجيدة، نجد أنه في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بلغ عدد المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس (Bibliothèque Nationale) وحدها ثلاث آلاف وخمس مائة مخطوطة[114].

111- المرجع السابق، ص 21.
112-الطيب بن براهيم: " الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة بالجزائر، ص 25.
113- المرجع نفسه، ص 26.
114- المرجع نفسه، ص 22.

وقد تضاعف هذا العدد الآن فتجاوز (سبعة آلاف صنفت تصنيفا جيدا وحفظت بأحدث الوسائل العلمية)[115]. إن هذه الأعداد الهائلة من المخطوطات العربية و المنجزات الحضارية الإسلامية العربية المختلفة التي عرفتها فرنسا منذ أزيد من ألف عام و التي لم تتوقف عن النمو و التراكم، قد أوجدت حولها طبقة من الدارسين و الباحثين المتمين باللغة العربية وآدابها و الذين شكلوا في معظمهم رحلات الاستعراب أو الإستشراق بوجه عام، وقد واكب عمليات الجمع هذه الدراسات عملية للمستشرقين الفرنسيين عن علوم المخطوطات العربية ومن أشهرها كتاب بلاشير وسوفاجيه. Règles Pour Editions) Et Traductions Des Textes Arabes) قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها[116].

إن كل ما سبق يعطينا لمحة مختصرة عن مدى قوة وحيوية العلاقة التي قامت بين فرنسا و العالم العربي ولا زالت إلى يومنا هذا رغم اختلاف أجيال المستشرقين وكذا جماهيرهم مريديهم واختلاف الظروف العامة المحيطة بهذه العلاقة، ولعلنا نسوق هنا معلومة قد توضح ما نرمي إليه مما سبق، حيث إن المتصفح للكتاب القيم جدا للدكتور عبد الرحمن بدوي " المستشرقون " سيلاحظ بعض الجهد أنه احتوى على أكثر من خمسين اسما لمستشرقين فرنسيين، في حين اقتصر عدد الإنجليز منهم بعض وثلاثين اسما، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل لى الحضور القوي لواحدة من أكبر المدارس الاستشراقية قديما وحديثا على قدم سواء، أما الآن فسنستقدم لنعطي تفصيلا للخطوات التي جسدت هذه العلاقة – علاقة فرنسا بالتراث العربي– تجسيدا فعليا منذ العصور الأولى للاستشراق إلى يومنا هذا، مع ملاحظة أن هذه الآليات التي سنتكلم عليها لم تكن في فرنسا وحدها، بل انتشرت في أنحاء معروفة من أوروبا كإيطاليا وبريطانيا وألمانيا على سبيل المثال لا الحصر.

---

[115]- المرجع السابق، ص 22.

[116]- المرج نفسه، ص 22.

المبحث الثاني: كراسي اللّغات الشرقية و المكتبات الفرنسية:

1. كراسي اللّغات الشرقية:

طلت فرنسا الثقافة العربة على اختلاف جوانبها في مدارس الأندلس خاصة بالإضافة إلى صقلية ، وما إن أطل القرن الثاني عشر حتى ظهرت أول مدرسة عنيت بتدريس اللغة العربية آدابه ضمن تدريس اللغات الشرقية الأخرى، ونحن نقصد مدرسة " ريمس Riems " التي قامت بأمر من البابا سيلفستر الثاني[117].

وهذه المدرسة تعتبر رائدة في فرنسا، إلا أنها ليست الوحيدة، فبعد قيامها قامت مدارس أخرى بعضها درس مختلف اللُّغات و العلوم وبعضها تخصص في اللغات فقط[118]. نجد من بين هذه المدارس (مدرسة شارتن 1117م ومدرسة مونبوليه للطب 1220م) وقد أنشأتها بقية من الجالية الإسلامية المغربية التي كانت على صلة بالإسبان و اليونان.

فصارت شهرتها وتوافد عليها طلاب الطّب من كل صوب. ثم في مدارس أديار الرهبان[119]. وقريبا من ذلك ثم الاعتراف بنقابة الأساتذة بباريس، هذه النقابة التي صارت نواة جامعة باريس [120].وفور وقوع ذلك أقر ذبه البابا أنوست الثالث وكان من خريجهاوأقر قوانينها عام 1210م، ومع بداية القرن الرابع عشر قضى البابا إكليمنس الخامس في مجمع فيينا (1311 – 1312م) بإنشاء كراس اللغة العربية و العبرية و الكلدانية في عواصم أوروبية يومئذ: باريس ، روما، أكسفورد، بولونيان وصلمنكة، فأنشأ

---

[117]- نجيب العتيقي: " المستشرقون"، ص 138.
[118]- المرجع نفسه، ص 138.
[119]- المرجع نفسه، ص 139.
[120]- المرجع نفس، ص 138.

جامعة باريس كرسيّا للغات السامية، في العصور الأخيرة أنشأ كرسي للدراسات الإسلامية في جامعة باريس تتمة للقسم العربي في السوربون (1955م)[121].

وفي السطور التالية سنحاول أن نحدد بعض اللَّحظات و المحطات التاريخية التي مثلت ظهور بعض المعاهد و الجامعات – فيما بعد– و بالتالي ظهور كراسي اللغة العربية فيها إلى جانب كراسي اللغات الشرقية الأخرى.

– جامعة تولوز Toulouse 1217م: وقد أنشأها رجال الدين المسيحيون بمباركة من الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا[122].

– جامعة بوردو Bordeaux 1441م: وفيها معهد الآداب للغة العربية و التمدين الإسلامي[123].

– ريمس Riems: أنشأ الملك فرانسوا الأول كرسيا للعربية و العبرية (1519م)، ولم يكتف بمدرسة ريمس، بل أنشأ معهد فرنسا " كولي جدي فرانس Collége De France 1530م " وأعد فيه كرسيين للعبرية و اليونانية وأضاف إليهما الملك هنري الثالث كرسيا للعبرية سنة 1587م[124].

– وفي سنوات 1699م – 1718م – 1721م وقع الملك لويس الرابع عشر قرارات رسمية تؤلف ما عرف بـِ : بعثة فتيان اللغات [125]. فتعلم فتيان هذه البعثات اللغات السامية في معاهد باريس، وفي مدرة الشباب الملحقة بمعهد لويس الكبير ثم أرسلوا إلى القسطنطينية، وبعد ذلك ألحقوا بالسلك السياسي، أو انتدبوا للترجمة ، أو عيّنوا أساتذة للُّغات السّامية في فرنسا بعد ما تضلعوا فيها وبرعوا.

---

[121]- الطيب بن براهيم: " الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة بالجزائر، ص61.
[122]- نجيب العتيقي: " المستشرقون"، ص 139.
[123]- المرجع نفسه، ص 139.
[124]- المرجع نفسه، ص 139.
[125]- المرجع نفسه ، ص 139.

– ثم أنشأت مدرسة ستعتبر محطة من الأهمية وهي " المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية بباريس سنة 1975م" [126] . Ecile Nationale Des Langues Orientales Vivantes .

وفي الأغلب الأعم كانت موجهة للسفراء و القناصل وكذلك التجار الذين كان الشرق مقصدهم.

وهي المدرسة التي أصبحت محجًا للطلاب يتوافدون عليها من كل أنحاء أوروبا لما تولى العلامة دي ساسي تدريس العربية و الفارسية فيها... ولم يحدث أن ازدهرت مدرسة استشراقية في الغرب ازدهارها، ومعظم من بزغ نجمه في الاستشراق في ذلك العهد كان من طلابها(127).

من أشهر جامعات فرنسا – إن لم تكن الأشهر– جامعة السربون التي ظهرت سنة 1257م على إثر هبة من الأب " روبر دي سوربون" وبعد ذلك بحوالي أربعة قرون وبالتحديد سنة 1626م جدد بعض رجال الدين بناءها، وفي سنة 1808م قام نابوليون بضمها إلى جامعة باريس وفيها عنى معهد الآداب Institut De Littérature بتاريخ الفن الإسلامي المغربي، وبتاريخ الشعوب الشرقية.... ثم ألحق بمعهد الآداب معهد الدراسات الإسلامية Institut D'Etudes Islamiques وفيه اللغة و التاريخ و الدراسات الدينية واللغات وعلم المجتمع الإسلامي(128).

– جامعة ليون Lyon 1808م: وفيها كانت تدرس اللغة العربية و المصريات – علم الآثار المصري– و التمدين الإسلامي(129).

---

[126]- المرجع نفسه، ص 139.
[127]- المرجع السابق، ص 140.
[128]- نفس المرجع، ص 140.
[129]- نفس المرجع، ص 140.

– المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس 1886م: وفيها قسم العلوم الدينية الملحق بالسوربون، و المختص بدراسات الإسلام وأديان الجزيرة العربية، وفقه اللغات الشرقية[130].

– جامعة ستراسبورغ Strasbourg 1872م: ودرس فيها تاريخ الشرق، وقد تحولت ألمانيا قبل أن تستعيدها فرنسا سنة 1917م[131].

– المعهد الكاثوليكي في باريس Institut Catholique De Paris 1875م: وفيه ثم تدريس اللغات العربية و السريانية و القبطية والحق القانون الشرقي[132].

على أن تدريس اللغات السامية لم يقتصر على المعاهد و الجامعات لفرنسا الداخلية، فالباحث يجد أن الإدارة الفرنسية أنشأت مثيلات لها – للمعاهد و الجامعات طبعا – في الشرق الأدنى – المغرب العربي حاليا – وشمال إفريقيا، وعملت على تزويدها بالمكتبات والمطابع دون إغفال الأساتذة و المحاضرين الذين كانوا روادًا لها، وفي التالي نورد أهم هذه المدارس و المعاهد التي أسستها الإدارة الفرنسية:

– معهد مصر 1798 م Institut D'Egypte : وقد أسسه نابوليون بونابرت مباشرة بعد دخوله مصر أثناء حملته الشهيرة[133].

– المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة 1880م Institut Français D'Archéologie Orientale Au Caire[134]

– كلية بورجاد 1841م Bourgade : في تونس أنشأها الأب بورجارد من الرهبان البيض، وهي الكلية التي تحولت فيما بعد إلى معهد الآداب العربية 1937م[135].

130- نفس المرجع، ص 140.
131- المرجع السابق، ص 140.
132- المرجع نفسه، ص 140.
133- المرجع نفسه، ص 141.
134- المرجع نفسه، ص 141.
135- المرجع نفسه، ص 141.

- معهد قرطاجة : في تونس 1895م[136].

- معهد الدراسات العليا: تونس 1945م[137].

- مدرسة الآداب العليا في الجزائر 1881م: و التي تحولت فيما بعد إلى صرح علمي هام هو جامعة الجزائر (1909م)ن وعنيت بتدريس اللغة العربية العصرية وعلم الآثار الإسلامية، و التاريخ، ألحق بها بعد ذلك معه للدراسات الشرقية[138].

- معهد الدراسات المغربية: في الرباط سنة 1931م[139].

- المعهد الفرنسي: في دمشق سنة 1922م[140].

- المعهد الفرنسي الإيراني: طهران سنة 1948م[141].

وبعد سنة 1957 عملت فرنسا على إدخال مواد جديدة في التعليم الثانوي عن التطور التاريخي للشرق و الحضارات الكبرى، وكان حظ الحضارة العربية الإسلامي من ذلك وافرا بالنظر للتقارب التاريخي، و الظروف التاريخية التي حكمت فرنسا بالعالم العربي الإسلامي.

2. المكتبات الفرنسية:

لقد تحدثنا في الصفحات السابقة عن قوة توارد المخطوطات العربية على فرنسا، وذكرنا تنوع هذه المخطوطات وكثرتها مما حتم وجود مكتبات على اختلاف أشكالها عامة كانت أو خاصة لاحتواء هذا الكم الهائل من هذه المخطوطات وكذا احتواء كم الدراسات

136- المرجع نفسه، ص 141.
137- المرجع السابق، ص 141.
138- طيب بن براهيم: " الاستشراق وتعدد مهامه خاصة بالجزائر"، ص 75.
139- نجيب العتيقي: " المستشرقون " ص 141.
140- المرجع نفسه، ص 141.
141-المرجع نفسه، ص 141.

والفهارس التي صيغت حولها من لدن الباحثين و العلماء و المتخصصين، وقد حفظت هذه المكتبات مئات الألوف من الكنوز من الكتب القيمة، ومن أهم هذه المكتبات نجد:

- مكتبة باريس الوطنية 1654م Bibliothèque Nationale De Paris : من أهم المكتبات الفرنسية على الإطلاق بالنظر إلى قيمة ما تحتويه من نفائس، فضلا عن العدد الكبير لكل المؤلفات فهي تحتوي على ستة ملايين من الكتب و المخطوطات منها نحو سبعة آلاف مخطوط عربي بينها نفائس علمية وأدبية وتاريخية ونوادر قلما توجد في غيرها[142].

وقد تنوعت مصادر الكتب لهذه المكتبة منذ بدايتها فمن أيدي المستشرقين الباحثين إلى المستشرقين الذين كانت كل مهمتهم البحث عن المخطوطات التي كانوا عارفين بقيمتها مثل البعثة التي أوفدها الوزير كولبر إلى الشرق الأدنى، فابتاعوا لها أي للمكتبة الوطنية 630 مخطوطا[143].

ذهابا إلى مخطوطات مكتبات الديار و الكنائس وما أرسله نابوليون بونابرت من حملته على مصر (320 مخطوطا)، وهكذا تجمعت في هذه المكتبة أعداد كثيرة من المخطوطات العربية القديمة من أقدم العصور، ففيها قطع من القرآن على الرق من القرون الثاني و الثالث و الرابع الهجري، وكذا بعض الكتب الشهيرة لعلماء المسلمين معروفين، كالمدخل الكبير في أحكام النجوم لأبي معشر البلخي (325هـ)، وكتاب الكنى و الأسماء للدولابي (381هـ) وكتاب الخراج ليحي بن آدم القريشي (489هـ)، ومقامات الحريري، وهي مزدانة بأروع الصور (619هـ). ونسخة كاملة من نزهة المشتاق الإدريسي[144].

142- أحمد درويش: " الاستشراق الفرنسي والأدب العربي" ص 22 - 23.
143- المرجع نفسه، ص 23.
144- نجيب العتيقي: " المستشرقون"، ص 142.

وقد صاحبت هذه المخطوطات كما ذكرنا محاولات عديدة لفهرستها وتبويبها وضبطها لتسهيل الاطلاع عليها من قبل باحثي الأجيال اللاحقة من بين مصنف – هربلو– " المكتبة الشرقية أو المعجم العام"[145].

في بضعة مجلدات (باريس 1657م و الطبعة الثانية 1738م) ومصنف للبارون دي سلان بعنوان: " فهرس المخطوطات العربية و السريانية في مكتبة باريس الوطنية[146].

في أربعة أجزاء يصف فيه 4665 مخطوط عربيا يتناول عنوان الكتاب واسم مؤلفه بالعربية.

ثم مزايا المخطوط ونوع الورق و الحجم و تاريخالنسخ وعدد الصفحات و السطور في كل صفحة بالفرنسية، و الفهرس متقن يعتمد عليه لقلة الغلط و السهو فيه [147]. وهذا دليل جميل على الدّقة و التفاني للذين كان يتميز بها قسم كبير من المستشرقين في عملهم عامة، وليس هذا إلا فيضا من فيض من جملة الفهارس التي تجشم جمع المستشرقين تدبيجها وتجبيرها، فالمتصفح للبحوث و الكتب الاستشراقية القديمة خاصة، قد قدم عملا واحدا على الأقل سواءً كان مستقلا في ذاته، أو تتمة لعمل غيره، في مجال فهرست المخطوطات وتبويبها ووصفها وكتابة مقدمات حول تاريخها وما إلى ذلك من معلومات قد يراها الباحث قيّمة مفيدة بالنسبة لعمله، وتضم مكتبة باريس الوطنية، عدا المخطوطات النفيسة و الكتب التراثية النادرة نوادر النقود والأوسمة و الأختام و الخرائط[148].

وعدد كبير ممّا يشب ذلك من الكنوز التاريخية.

3. مكتبات المعاهد و الجامعات:

---

[145]- المرجع نفسه، ص 143.
[146]- المرجع السابق، ص 143.
[147]- المرجع نفسه، ص 143.
[148]- المرجع نفس، ص 143.

وفيها يجد الباحث نصيبا قيما من المخطوطات الكتب الثمينة، ولا عجب في ذلك إذا علمنا أن قيمة هذه الكتب النادرة تدفع أي مؤسسة تربوية ثقافية إلى محاولة اقتناء ما يمن اقتناؤه منها، إضافة إلى دفع منتسبيها إلى البحث عنها وفيها غُرس حب هذا المضمار فيهم وتشجيعهم على الغوص فيه من خلال كل الوسائل المتاحة ومنها – أي المكتبات والمعاهد– نجد:

– مكتبة ستراسبورغ : صنف فهرس مخطوطاتها العربية جوليوس أوتنج (187م).

– مكتبة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية: صنف فهرس مخطوطاتها الشرقية لامبرخت (1897م).

– مكتبة أفينيون: صنف هرس مخطوطاتها العربي شارل بيلا (1944م).

– مكتبة الجمعية الأسيوية في باريس: صنف فهرس مخطوطاتها العربية جورج فايد (المجلة الأسيوية : العدد 238 سنة 1950م).

هذا ويشير جيب العقيقي في كتابه المهم " المستشرقون " أن فرنسا في زمن طبعه لكتابه وبعده، والحكومة الفرنسية عنيت ولا زالت بوضع فهرس شامل لجميع المخطوطات العربية في سائر مكتبات فرنسا، هذا عدا فهارس المخطوطات الشرقية في مكتبات الجامعات و المعاهد و المؤسسات الخاصة و العامة[149].

– المكتبات الخاصة : ونحن هنا نقصد المكتبات التي كانت بمعية المستشرقين وملكا لهم، وكذا مكتبات رجال الدولة وغيرهم ممن كانت لهم القدرة على اقتناءها. وقد قام كثير من المستشرقون و الكبراء في الدولة بوهب قسم كبير من هذه المكتبات الخاصة للمكتبة الوطنية بباريس، إلى جانب آخرين قاموا بوقفها كليّا على هذه الهيئات و المؤسسات[150].

---

[149]- المرجع السابق، ص 144.

[150]- المرجع نفسه، ص 146.

– مكتبة المستعمرات: وهنا سنخص بالذكر مكتبات شمالي إفريقيا التي كانت أغلبها تحت السيطرة الفرنسية و التي نشط فيها المستشرقون أيما نشاط، وفي التالي أسماء المستشرقين وعناوين فهارسهم التي أتي لنا العثور عليها في بطون مصادر ومراجع هذا البحث:

- دينه باسه: فهرس المخطوطات العربية في مكتبتي فارس (الجزائر 1883م) ومخطوطات جلفا (نشرة المراسلات الإفريقية 1884م)، وفهرس مكاتب الزوايا (الجزائر 1886م).
- فانيان: فهرس المخطوطات العربية و التركية و الفارسية في مكتبة مدينة الجزائر الوطنية (في سلسلة الفهرس العام للمخطوطات المكتبات العامة في فرنسا، المجلد 8 ، 1893م).
- روي: فهرس المخطوطات التاريخية المحفوظة في مكتبتي جامع الزيتونة، العبدلية و الأحمدية (تونس 1900م).
- جورج سالمون: فهرس مخطوطات مكتبة خاصة في طنجة (المحفوظات المغربية 1905م).
- مايار: فهرس المصنفات المغربية في مدينة طنجة (مجلة العالم الإسلامي 1917م – 1918م).
- كورك فهرس المخطوطات في كبرى المكتبات الجزائرية (الجزائر 1907م).
- بلوشة: فهرس البعثة العلمية في المغرب (1909م).
- ويستنج: المخطوطات العربية في غربي إفريقيا (المجلة الإفريقية 1911م– 12–13).

إن كل ما سبق وذكرناه إن دل على شيء فإنما يدل على مدى اهتمام الاستشراق الفرنسي خاصة الاستشراق الأوروبي عامة، بعلاقته المباشرة بالحضارة العربية الإسلامية

في شتى جوانبها المختلفة – أي الثقافة العربية عامة– وبالإضافة إلى كراسي اللُّغات العربية التي مهدت للدراسات العربية، وكذا المكتبات التي اهتمت بالمخطوطات وأتاحت الاطلاع على الموروث العربي الإسلامي، نجد عنصرا آخر مهما في إطار تنمية العلاقات المعرفية مع العالم العربي وأدبه وثقافته، ألا وهو المجلاَّت العلمية الخاصة بالاستشراق وبحوثه حول الشرق، فقد أنشأت جمعيات المستشرقين الفرنسيين عددا من المجلات تعنى وتهتم بالعرب أي تحقيق تاريخهم وجغرافيتهم وأنسابهم، وبحث أديانهم وشرائعهم، ومذاهبهم وأخلاقهم، ودرس لغاتهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم، ومن هذا كله اطلع الغرب على كل ما يتعلق بالشرق في خصائص تطورهم، فألفت مجموعة كونت مكتبة نفيسة فيها زبدة أعمال المستشرقين، ومن أهم هذه المجلات العلمية نجد:

4. المجلات و الدوريات:

– صحيفة العلماء 1665م Le Journal Des Savants Paris : وتصدر عن جمعية العلماء الفرنسيين كل ثلاثة أشهر، وأغلبها أبحاث تتميز بالرصانة و التعمق[151].

– المجلة الأسيوية 1822م Journal Asiatique : وهي صحيفة أُطلق عليها المعربون اسم مجلة، تصدرها الجمعية الأسيوية في باريس، تأسست تحت رعاية " دوق أورليان" الذي تملك – أصبح ملكا– بعد ذلك بعشرين سنة باسم " لويس فليب" . وكانت رئاستها للعلامة " سلفت ودي ساسي " تصدر كل ثلاثة أشهر تبحث في العرب تاريخا وجغرافيا وثقافة وفنون، وقد وصلت أعداد هذه المجلة إلى حوالي 330 مجلدا يتراوح عدد صفحات الواحد منها بين 300 و 700 صفحة تناولت تراث القارة الأسيوية، خاصة العالم العربي الإسلامي الذي حظي بنحو الثلثين من كل الصفحات[152].

وخلال البحث يتضح للباحث كم كانت هذه المجلة الشهيرة، و التي ذات صيت واسع وشمولية في الدراسة المعمقة، لا تدع مجالا، من المجالات المعرفية و الثقافية و

151- المرجع السابق، ص 147.

152- المرجع نفسه، ص 147.

الحضارية إلا وقامت بدراسته، فمن الآثار إلى الفنون الجميلة إلى الاعتقادات و الأساطير، مرورا بالغويات و الأدب، وصولا إلى مواد في التصوف و الفلسفة و العلوم التطبيقية و الرحلات.

– المجلة الإفريقية 1856م Revue Africaine Alger : من أشهر مجلات الاستشراق الفرنسي، عنيت بكل ما يمت بصلة لمستعمرات فرنسا في شمال إفريقيا في كل جوانب حياتها، كانت تصدرها الجمعية التاريخية الجزائرية في الجزائر[153].

– حوليات معهد الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر 1934م Annles De L'institut D'étudsOrientalesDe L'université D'Alger : و التي كانت تصدر في العاصمة الفرنسية باريس[154].

تعتبر هذه أغلب وأهم المجلات و الصحف و النشرات التي مثلت الاستشراق الفرنسي في تلك الحقبة وعلاقته بالعالم العربي الإسلامي، على أنها لا زالت هناك الكثير منها لم نذكرها مثل (نشرة الدراسات العربية 1991م)، وكذا (مجلة العربية " أربيكا" 1954م)، ثم مجلة (الأدب المقارن د. ت) وغيرها كثيرا غير أننا اكتفينا بهذا القدر.

كل هذه الأدوات والآليات المادية و المعنوية التي سخرها المستشرقون، مثلت ولا زالت تمثل قنوات عبور المعرفة العلمية والأدبية و الثقافية للعالم العربي الإسلامي إلى الضفة الأخرى، وبعضها لا زال إلى يومنا هذا يواكب المتغيرات الاجتماعية و الثقافية ولازال ينشط ويصدر ويؤلف، حتى في ظل الجدل الحامي الواقع حول نهاية ظاهرة الاستشراق في عدمه، و المهم في الأمر أن هذه القنوات كانت ولا زالت تحرص من خلال أشكالها المختلفة – الأكاديمية وغيرها– على حيوية الارتباط و العلاقة التي تريدها فرنسا لنفسها من العرب والمسلمين، سواء كانت هذه العلاقة تتسم بالتوازن في الأخذ و

---

[153]- المرجع السابق، ص 147.

[154]- المرجع نفسه، ص 150.

العطاء، أو بنوع من الهيمنة ومحاولة الغلبة على الطرف الآخر وتبرير السيطرة عليه ثقافيا ومعرفيا.

وخلاصة القول هنا أن كل هذه القنوات لم تكن إلا دليلا على قوة العلاقة التي ربطت – ولازالت– تربط فرنسا بالعالم العربي الإسلامي وحياته وأهمية هذا التراث العربي في القديم و الحاضر بالنسبة للغرب عامة ولها خاصة.

وقبل أن نتطرق للمبحث الثالث و الأخير في هذا الفصل و الخاص بأهم الأسماء الاستشراقية الفرنسية مع لمحة ولو مقتضية عن أهم أعمالهم التي كانت حول الإسلام وحياة العرب الثقافية والاجتماعية والأدبية وغيرها، ارتأينا أن نقوم قبل ذلك بعرض لبعض التواقيت التي نراها فارقة في مسيرة الاستشراق الفرنسي في ارتباطه المبكر بكل ما يرمز للعالم العربي الإسلامي، وهي لحظات تاريخية جاءت نتيجة ظروف معينة لها ملابساتها ودوافعها الخاصة و العامة.

يترای لأي دارس وباحث أن المدرسة الاستشراقية الفرنسية كانت سابقة تاريخية وذات صيت عال وريادة سمحت لها بقطع أشواط كبيرة في مجالات البحث و الدِّراسة و التحليل والتأسيس لمناهج كان لها أثرها منذ ظهورها إلى يومنا هذا، لا على العالم العربي وحده بل على أوروبا و العالم أيضا. و اللحظة الأولى التي نحاول جلاءها هي إنشاء مدرسة " ريمس Riems " أوائل القرن الحادي عشر الميلادي بأمر من البابا " سلفستر الثاني " (999م – 1003م) الذي ليس إلا عميد المستشرقين المعروفين، ليس الفرنسيين فقط، بل الأوروبيين كافة حسب أغلب المصادر التاريخية المتاحة.

– " جرب ردي أورلياك " الذي تتلمذ في مدارس الأندلس على أرباب العلوم في عصره في كل المجالات خاصة في علم الكلام و الفلسفة و اللغة وعلومها، ولكن كيف ولماذا يمكن لنا أن نعتبر المحطة فارقة وذات تأثير؟.

ببساطة لأنها ودائما حسب المصادر التاريخية، أول مدرسة أنشأت لتدريس اللغة العربية وعلومها و الفلسفة و الطب وغيرها، ليس في فرنسا فقط بل في أوروبا كلها،

وبالتالي فإن ظهورها يتخذ مكانا هاما على الساحة التاريخية لأنها رائدة في الوجود لمدة طويلة، وكذا لأن خريجيها ومريديها شكلوا النواة الأولى الأكثر وضوحا لجمع المستعربين و المستشرقين الفرنسيين الذين حملوا على عاتقهم نشر ما تعلموه وبحثه ودراسته وتحليله بغية الوصول بالعلوم التي درجوا فيها إلى مرحلة تمكنهم فيها من قهر الظلام الحالك الذي كان يلف أوطانهم على أننا لا يحق لنا أن ننظر بهذه البراءة المطلقة لهذا الحدث وهذه المحطة، والقول هنا أن قيام هذه المدرسة في ذلك الظرف التاريخي الحساس كان بمثابة التغريدة خارجة السراب، فالوضع على ما كان يميزه من هدوء نسبي إلا أنه وضع مواجهة بين الشَّرق و الغرب ممثلا في الأندلس خاصة و الغرب بصفة عامة، وبالتالي فالعداء كان شديدا لكل ما هو عربي مسلم في شخصهن أو في موضوعه ونسبته، فلا يكون ظهور مدرسة تعنى بدراسة علوم العرب وتدريسها و تعليم لغتهم بالأمر البسيط الهادئ، بل إننا نكاد نجزم أنه لولا أن الأمر بقيام هذه المدرسة جاء من أعلى سلطة وهي السلطة الدينية لكان الأمر مستحيلا، ومجددا أيضا نقول لولا البابا " سلفستر الثاني " كانت فرنسا ولو أنه كان من خريجي مدارس الأندلس لما كان ظهور المدرسة أمرا ممكنا، فتمدرس هذا الرجل هناك أتاح له التعرف عن قرب إلى المجتمع الإسلامي القائم، وكذا فإننا لا نغفل بعض الأهداف من هكذا مدرسة وهكذا منهج، فدراسة لغة العرب وعلومهم ليست دليلا على حبّهم فقط أو احترامهم على الأقل بل هي دليل قوي على مدى الخوف و التوجس من قوتهم العسكرية والاقتصادية و الفكرية الثقافية خاصة و المثل القائل " من تعلم لغة قوم آمن شرهم" خير بيان لما نريد بيانه.

أمّا المحطّة التالية التي نرى أنّه كان لها الأثر العظيم في عصرها وكانت تمثل لحظة فارقة من قبلها وما بعدها، وهي ترجمة القرآن الكريم، أو ترجمة معاني القرآن،

وهي في الحقيقة ليست إلا امتدادا لها سبقها من تحضيرات ومن خطوات قطعها الاستشراق تحت مظلة الكنيسة وبتوجيه منها[155].

و الشخصية المحورية في هذا هو " الراهب و المستشرق (بطرس المبجل Pierre Le Vénérable 1092م – 1156م، رئيسا دير كولوني الشهير Cluny)[156].

و الذي دفعته الغيرة على دينه ووطنه لما زار إسبانيا ورأى وعايش المسيحيين الذين كانو يعيشون تحت حكم المسلمين في الأندلس حيث " استقر رأيه على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية بغية فهمه أولا و الرد عليه ثانيا [157]. فكان لهذا الحديث أثر عظيم في مجال الدراسات الإسلامية في أوروبا الغربية.

و الغرض من هذه الترجمة ظاهر منذ البداية كما أسلفنا وهو الرّد عليه بعد فهمه والإحاطة به، لأن بطرس هذا كان يعتقد أنَّ الإسلام إلا هرطقة مسيحية وأنه خطرا على المسيحية، وبالتالي الهدف الأسمى من ترجمته هو هداية المسلمين إلى محاسن المسيحية، وردهم عن الدين الإسلامي .

أمّا اللحظة الثالثة هي بلا شك ترجمة قصص " ألف ليلة و ليلة " للُّغة الفرنسية في القرن الثامن عشر الميلادي وبالأحرى مطلعه فما بين سنتي (1704م – 1708م) قام "أنطوان غالان" المستشرق الفرنسي و الرحالة أيضا بترجمة الأغلب الأعم من مخطوطات لألف ليلة وليلة تأتى له خلال أسفاره و بالضبط في بلاد الشام وليس هناك عمل أثر في الأوروبيين عامة، تأثير هذه القصص فيهم لدرجة رفيعة لا يمكن تخيلها فصارت قصص " ألف ليلة و ليلة " أكثر ما تداوله القراء من كتب.

155- طيب بن براهيم: " الاستشراق الفرنسي وتعدد مهمه خاصة بالجزائر"، ص 53.
156- ساسي سالم الحاج : " الظاهرة الاستشراقية"، ص 43.
157- المرجع نفسه، ص 14.

كان لهذه المحطات كل حسب زمنها تأثير بالغ في مجرى الأحداث بين الشرق والغرب وتأثير كبير كذلك في تكوين الصورة النمطية التي تخدم مصالح الغرب عن الشرق وحياته، و الذي يهمنا في هذه المحطات و اللحظات هو أنها كانت من صنائع الاستشراق الفرنسي ورجالاته، و الذي يثبت بدوره علة كعب هذه المدرسة الاستشراقية المتميزة .

المبحث الثالث: أهم المستشرقين الفرنسيين:

في المبحث نعرض بعض أهم المستشرقين الفرنسيين الذين عرضناهم وبأسمائهم وأعمالهم بطون الكتب التي بعثت في تاريخهم وقامت بتغيير سطور وصفحات حولهم سواء بالمديح أو الذّم أو بالدرس و التحليل الموضوعي الرزين الذي يكافئ المحسن على إحسانه و السيئ على إساءته.

1. جرب ردي أورلياك Gerbert De Aurillac 930م – 1003م[158]:

يتفق أغلب الباحثين في تاريخ الاستشراق أنه أقدم مثل الاستشراق المعروف حاليا وهو بذلك عميد المستشرقين عامة و الفرنسيين خاصة، ولد في أورلياك Aurillac حوالي سنة 930م، نشأ في دير للقديس جير Saint – Grérault وبعد ذلك ذهب إلى الأندلس وتلقى من علماء العرب المسلمين علوم الهندسة و الميكانيكا و الفلك وسائر العلوم المعروفة في ذلك العصر. يعزى إليه إدخال الأرقام العربية إلى فرنسا، وبعد تقلبات كثيرة في دهاليز السلطة بين الكنيسة وقهور الحكام قاده قدره لينتخب سنة 999م بابا للكنيسة الكاثوليكية في روما.

ويعد أوّل بابا من أصل فرنسي،توفي سنة 1003م، ولا يعرف من أعمال جربير مؤلفات أو بحوث في اللغة العربية أو علومها، إلا أنه ورغم هذا له الفضل الأول في دخول العلوم العربية إلى العالم الأوروبي المسيحي كما شجع على الترجمة من العربية

[158]- عبد الرحمن بدوي: " موسوعة المستشرقين، ص 125.

إلى اللاتينية، ويكفيه فخرًا أنه بشر لأوروبا بكاملها الإلتفات إلى كنوز الحضارة العربية الإسلامية التي ساهمت في قيامها من سباتها.

2. بطرس المبجلPierre Le Vénérable 1092- 1156م[159]:

رجل دين ولاهوتي فرنسي، تدرج في سلك الرهينة منذ نعومة أظافره حتى صار وهو في الثلاثين من عمر رئيسا لدير كلوني ABBE.DE.CLUNY ، وإلى جانب اشتغاله بالعمل الكنيسي فقد كانت له علاقات متميزة برجال السياسة و الحكم في عصره أتاحت له الاستفادة من مكانة محترمة وذات شأن بينهم، غير أن الذي يمنا أكثر في هذا الباب ليس علاقته برجالات عره بل هو إسهامه في الدراسات الاستشراقية عن الإسلام و المسلمين وليس علنا هنا أ نبحث كيرا فالرجل لم يترك أعمالا كثيرة مؤلفة تشهد ل بطول الباع في التأليف بل هو عمل واحد لا غير كان الأوّل والرائد في مضماره هو " ترجمة القرآن الكريم إلى اللُّغة اللاتينية "، وقد باشره وأتمه خلال مقامه في الأندلس بمعاونة من بعض المسيحيين من مدرسة المترجمين من العربية إلى اللاتينية في طليطلة، وانتهى من هذه الترجمة سنة 1143م،وهي تعد أول ترجمة إلى اللاتينية للقرآن كله من اللغة العربية، استمرت معتمدة في أوروبا حتى نهاية القرن السابع عشر " توفي بطرس المحترم" أواخر سنة 1156م بفرنسا.

3. غيّوم بوستل Guillaume Postel[160]:

يخلف العقيقي وعبد الرحمن بدوي (أهم من ترجم للمستشرقين من الباحثين والدارسين العرب) في تاريخ ميلاده فالعقيقي يشير في ترجمته إلى 1505م كتاريخ ميلاد

---

[159]- المرجع نفسه، ص 178.

[160]- المرجع نفسه، ص 178.

" بوستل "، في حين أن عبد الرحمن بدوي يقول أن ميلاده لا يكون سنة 1505م، وهو الرأي الذي تؤيده المعلومات العامة في الموسوعة الالكترونية " ويكيبيديا Wikipédia حين يشار إلى سنة ميلاده على أنها 150م في مدينة تدعى " دولري Dolerie تميز منذ صغره بقدرة فائقة على تعلم اللغات و التحكم بها .

جد من آثار غيوم بوستل الذي توفي بمسقط رأسه بفرنسا سنة 1581م: " حرف هجاء اثنى عشر لغة 1538م، قواعد اللغة العربية 1539م، اللغة العربية و الفينيقية 1553م، عادات وشريعة المسلمين 1560م، وصف القاهرة 1552م، وقد نشر الكتاب الأخير تحت إشراف أنجيلا كوداتزي.

4. هربلو بارتيليمي D'herbelot (1625م – 1695م)[161]:

مستشرق من الرعيل الأول، ولد بباريس وفيها تعلم اليونانية و اللاتينية ودرس الفلسفة وغيرها من العلوم العقلية لم يترك تعلم اللغات فانكب على تعلم اللغة العبرية و السريانية والعربية و الفارسية و التركية وارتحل بعد ذلك إلى روما حيث زار جامعها ومطبعتها الشرقية ونال رعاية كبراء الدولة هناك حيث عاد محملا بنصيب وافر من المخطوطات العربية القيمة عند عودته إلى وطنه عمل في ديوان وزير المالية لفرنسا ثم مترجما من اللغات الشرقية في البلاد، ثم ارتقى حق ولي كرسي اللغة السريانية في معهد فرنسا حتى وفاته في الثامن من ديسمبر سنة 1695م.

من بين أهم آثاره نجد : " المكتبة الشرقية " وهي دائرة معارف في بضعة مجلدات مرتبة على حروف المعجم تبحث غي علوم الشرقيين وتاريخهم وآدابهم وغيرها، ولم يتسنى له نشره لأن المنية وافته فقام " أنطوان جالان "بمهمة نشره بعد وفاته سنة 1697 أي بعد عامين في باريس.

[161]- المرجع السَّابق، ص 159.

5. سيلفستر دي ساسي Antoine Isaac Silvester De Say(1758 – 1838 م)[162]:

شيخ المستشرقين، رائد الاستشراق الفرنسي ورافع رايته، أبو الاستشراق الحديث ومنشئ علم الاستشراق في أوروبا، كل الألقاب تحيل إلى شخصية البارون دي ساسي الذي يحتل مكانة لم يبلغها مستشرق فرنسي لا قبله ولا بعده، ولد دي ساسي في باريس 21 – 12 – 1758 لأب كان محرر عقود(كاتب عدل) ويسوق بعض الدارسين لتاريخ الاستشراق . إن شبب تعلق واتجاه دي ساسي إلى الدراسات العربية و الشرقية عامة هو شخص اسمه " جورج فرانسوا بيرتيريو"، وهو الذي يظن أنه أخذ بيد دي ساسي لتعلم العبرية و العربية ولم يكن "دي ساسي" متجها للغات الشرقية فقط ، لكنه إلى جانب ذلك أدرك حاجته لتعلم اللُّغات الأوروبية مثل الألمانية والإيطالية والإنجليزية والإسبانية التي أخذ في دراستها والتمكن منها لزيادة ثقافته من جهة ومن جهة أخرى لزيادة فرصته على عمل محترم يوفر له حياة كريمة لائقة به وبطموحاته. سنة 1778م تم تعينه من طرف الملك واحدًا من ثمانية أعضاء ضمن جمعية نشر كنوز المخطوطات الشرقية لمكتبة باريس الوطنية، ولم يتوقف الأمر هنا حيث بعد ذلك بثلاث سنوات سنة (1781م) مستشارًا في ديوان النقود الملكي، وفي سنة (1758م) عُين عضوا في مجمع النقوش والآداب، ثم حافظا للنقود ومفوضا لها سنة (1791م)، غير أن الثورة الفرنسية المندلعة سنة (1796م) تسببت في توقف نشاطه وانزوى في أحد ضواحي باريس بين أفراد عائلته ومع بحوثه، واستمر الوضع على ماهو عليه حتى خمود الثورة حيث ومباشرة بعد تأسيس وإنشاء مدرسة اللُّغات الشرقية الحية سنة (1795م) التي أنشأت بقرار من مجلس الثورة.

أنشئ ضمن ما أنشئ كرسي للغة العربية، وعين دي ساسي الذي أصبح سلفت "ردي ساسي" فقط أستاذًا فيها مع بداية سنة (1796م)، ثم انتخب عضوا في الهيئة

[162]- المرجع نفسه، ص 162.

التشريعية لمقاطعة " السين La Seine " سنة (1808م)، ولقربه من مراكز صنع القرار في زمنه و المكانة التي كان يتمتع بها منحه " نابوليون" لقب نشاط " دي ساسي " الذي استعاد درجة النبالة في زمن نابوليون، ولم يتوقف قط ، فمن التدريس إلى البحث و التحليل و المشاركة في الندوات، هذا إضافة إلى المناصب الإدارية التي كان يتقلدها بين الحين والآخر.

إن الحديث عن " دي ساسي" وحياته يطول ويطول، وكذلك الحديث عن أثاره ومؤلفاته يطول بطول مشواره الحافل الذي لم يقتصر على المجال العلمي، وإما تعداه إلى المجال السياسي ومراكز اتخاذ القرار.

ظل البارون " دي ساسي" طول حياته ورغم كثرة انشغالاته خاصة في أواخر حياته على صلة بالعلم ومجالاته، فمن دروسه إلى البحث و التحليل و التأليف إلى إلقاء المحاضرات و المشاركة في الجمعيات و المؤتمرات، تآليف دي ساسي تنوعت موضوعاتها بتنوع اهتماماته، فلم يقتصر على مجال مفرد بعينه، وفي الأسطر التالية سنوجد بعض أعماله المهمة، فنجد مثلا " كتاب الأنيس المفيد للطالب المستفيد" وهو عبارة عن مختارات فن أدب العرب وأشعارهم (1806م) . (1826م) ترجمة " البردة للإمام البوصيري" (1806م) تلخيص " كتاب الساسانيين" لسير خوند، كما نجده نشر بمعاونة ديلا بورت " مباحث جغرافية عربية من إفريقيا" (1821م)[163]، هذه كانت بعض اللمحات عن أعمال " سلفستر دي ساسي" الذي عاش في خدمة علمه و التأسيس له مع بذل كل ما يستطيع للوصول به إلى أهدافه وغاياته المنشودة.

6. شارل وبيلا Charles Pellat (1914- 1992م):

ولد في الجزائر و بالتحديد في ولاية سوق أهراس سنة (1914م)، عاش طفولته الأولى هناك قبل أن يستقر مع عائلته بالمغرب سنة (1924م) أين تلقى دروسه الثانوية بالدار البيضاء، حصل على البكالوريا الجزء الأول سنة (1931م)، ثم الثاني رياضيات

[163]- المرجع السابق، ص 162.

(1933م)عاد إلى فرنسا وهناك حاز على ليسانس اللغة العربية من جامعة بوردو Bordeaux (1933-1935م)، ثم عاد إلى المغرب في ذات السنة (1935م) ليحصل على شهادة العربية من معهد الدراسات المغربية العليا، ثم شهادة لغة البربر سنة (1938م) من جامعة الجزائر، ثم أخيرا إجازة الأستاذية بالعربية، وشهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس (1946 - 1950م).

كان " شارل بيلا " على غرار كبار المستشرقين ذا همة عالية ونشاط بالغ في عمله وبحثه، عمل أستاذا في مدينة مراكش المغربية (1934 - 135م)، وأستاذا في مدرسة اللغات الشرقية الشهيرة (1951 - 1965م)، ثم مديرا لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة باريس -السوربون- Paris Sorbonne (1972م)، وقاده عمله ومكانته المعرفي المميزة إلى العديد من المناطق في العالم مثل السنغال و المغرب ولبنان وسوريا و العراق و الهند وباكستان لإلقاء دروس أو المشاركة في مؤتمرات وندوات متنوعة.

حينما نذكر " شارل بيلا " فإننا بطريقة أو بأخرى نذكر الجاحظ الذي كان محط اهتمام مستشرقنا وإن لم يستأثر به كله، إلا أنه حظي بمكانة خاصة في رحلته العلمية حتى عدّ " بيلا" مترجم وباحث الجاحظ الأول في فرنسا خاصة و في المغرب عموما، توفي سنة (1992م) في فرنسا بعد حياة حافلة جدا بالبحث و الدروس و التأليف، وليس أدل على ذلك من كم الآثار العظيمة التي خلفها و التي تمثل بحق إرثا استشراقيا مهمًا.

نجد من أهم أثاره ما ألفه حول الجاظ خاصة ما نال به شهادة الدكتوراه الدولة: البيئة البصرية ونشأة الجاحظ (باريس 1953م)، الإمامة في عقيدة الجاحظ (1961م)، أصالة الجاحظ (1963م)، الجاحظ و الشعوب المتحضرة و المعتقدات الدينية (967م)، ونجد أنه اهتم بموضوعات أخرى هي اللغة العربية وحضارتها (1952م)، مراحل انحطاط الثقافة في بلدان الشرق العربي (1957م)، الموسوعات في العالم العربي

(1966م)، الإسلام و التاريخ (1971م)[164]. إلى غيرها من المؤلفات و المواضيع و البحوث و المقالات و الدروس الكثيرة التي شكلت ولازالت زادًا معرفيًا هامًا سواءً للمؤيدين أو للمعارضين.

و كخاتمة لهذا المبحث الثالث، نخص بالذكر هذه القلة من أعلام الاستشراق الفرنسي، إلا أننا يجب أن نذكر أنها لا تمثل إلا نسبة قليلة جدا من هذه الفئة، وليس أدل على ذلك من وجود أكثر من خمسين اسمًا للمستشرقين لامعين في صفحات " موسوعة المستشرقين" لعبد الرحمن بدوي، وأكثر بكثير من هذا العدد في صفحات كتاب نجيب العقيقي المهم جدا من خلال إحاطته الواسعة حيث يذكر أكثر من ثلاثمائة من المستشرقين الفرنسيين اللامعين منهم أو أقل من ذلك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة الاستشراق الفرنسي خاصة في إطار الاستشراق عمومًا، وليس ذكرنا في هذا المقام لهذه الفئة القليلة من المستشرقين الفرنسيين إلا لإعطاء فكرة عنهم وعن مساهماتهم، وكذا لأن المقام ليس مقام ترجمة في لبة وإنما هو مقام يعطي لمحات موجزة قد تحفز القارئ على البحث و التعمق و التوسع في هذا الموروث الممتع و الحساس في آن واحد.

[164]- المرجع السابق، ص 353.

من خلال دراستنا وتطرقنا لموضوع هذه المذكرة و المتمثل في الاستشراق دوافعه ومراحله وعلاقة المدرسة الفرنسية بالثقافة العربية لاحظنا عدة ملاحظات وجدناها هامة جدًا ولها دور كبير، وهذه الملاحظات تنقسم بدورها إلى قسمين يشكلان لبّ الموضوع وجوهره:

- قسم خاص بدارسة الاستشراق بصفة عامة وقسم خاص بعلاقة المدرسة الفرنسية بالثقافة العربية.
- فبداية الدراسة كانت حول الاستشراق و الذي من خلاله دراسته توصلنا إلى عدة نتائج وهي :
- كانت دراسة الاستشراق للعالم العربي الإسلامي في أغلبها منصبة على الجانب العقيدي الشرعي وكيف تعامل المستشرقون مع القرآن الكريم و السنة النبوية و العقيدة الإسلامية، ثم كيف قامت الدولة الإسلامية ومبادئها وحياة رجالاتها خاصة، حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، ثم الدولة الإسلاميةالمتعاقبة على مرّ العصور. وجدت من خلال هذه الدراسات تصادم في الآراء بين المفكرين و العلماء و المؤرخين العرب و المستشرقين، وهي صدام منتقية بالنظر إلى ما تناثر في كتب الاستشراق من تحليل، وأحكام اتسمت في جزء منها بالشرع وعدم النضج .
- وكذلك نجد الاستشراق اهتم بدراسة التاريخ العلمي الفكري للاستشراق بصفة موسعة وشاملة مازال غائبا، فنحن قد نجد الدراسات عن أهم رجالات الاستشراق ونتاجهم الفكري لكنها تبقى دراسات منصبة على جوانب محددة بعينها، ومعظم هذه الدراسات اهتمت بشخصية المستشرق.
- لابد من الإشارة إلى أن دراسة الاستشراق في العالم العربي الإسلامي اهتمت بكل الجوانب الخاصة بحضارة العرب وخاصة المجال الفكري و الديني الذي خصصوا

له حيّزا كبيرا من هذه الدراسة وهذا من أجل الاستفادة من فكر العلماء المسلمون ومن تعاليم الدين الإسلامي الذي يمثل دستور الحياة.

- أمّا فيما يتعلق حول علاقة المدرسة الفرنسية بالثقافة العربية توصلنا كذلك إلى نتائج وهي:
- إن علاقة المدرسة الفرنسية خاصة والاستشراق الأوروبي عامة بالثقافة العربية إهتمت بترجمة الكتب الخاصة بالآداب و الفلسفة وكل ما يتعلق بالثقافة العربية، وهذا من أجل التعرف و التعمق في الشخصية العربية و محاولة دراستها من هذا الجانب.
- إن هدف هذه العلاقة و الدراسة لم يكن من أجل المعرفة و التعلم فقط بل كانت نواياه أكبر من ذلك حيث أنهم استغلوا هذه الدراسة للنهوض و الرقي بالفكر الأوروبي وصناعة حضارتهم.

وأخيرًا لابد أن نشير إلى الإهتمام بثقافتنا وفكرنا وديننا ، وعدم السماح للطرف الآخر بتشويه صورتنا الخاصة (بالثقافة و العلوم)، وبالأخص إذا عملنا نحن على ترجمة هذا الموروث وتسويقه ضمن استرتيجية لها قواعد مدروسة ومحكمة تمنح له وتعطيه مكانة خاصة به ضمن الحضارات العالمية.

المصادر:

أ- القواميس:

1-ابن منظور المصري الإفريقي" لسان العرب"، دار صادر بيروت، المجلد الثاني عشر، 1714هـ/ 1997م.

2- الفيروز أبادي مجد الدين " قاموس المحيط" ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ، بيروت، ج1، 1714هـ/ 1997م.

3- لويس معلوف " المنجد في اللغة والأعلام "، دار المشرق، بيروت، 2003م.

ب- الكتب:

1- أحمد سمايلوفيتش" فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر "، دار الفكر 1998م.

2- إدوارد سعيد " الاستشراق . المعرفة، السلطة، الإنشاء" ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية للدراسات والنشر، 1996م.

المراجع:

1- أحمد درويش " الاستشراق الفرنسي والأدب العربي"، دار غريب القاهرة، 2004م.

2- أبو القاسم سعد الله" تاريخ الجزائر الثقافي"، دار الغرب الإسلامي، ج6، 1998م.

3- إبن سلام الجمحي " طبقات فحول الشعراء"، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1952م.

4- أحمد حسن الزيات " تاريخ الأدب العربي" ، دار المعرفة، 1418هـ/ 1997م.

5- أسعد مظفر الدين الحكيم " علم الترجمة النظري"، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1989م.

6- الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر " الحيوان "، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1988م.

7- الطيب بن براهيم " الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر"، دار المنابع، 2004م.

8- ساسي سالم الحاج " الظاهرة الاستشراقية"، دار المدار الإسلامي، ج1، 2003م.

9- ساسي سالم الحاج " نقد الخطاب الاستشراقي "، دار المدار الإسلامي، 2005م.

10- سالم العيس " الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية "، اتحاد الكتاب العربة، 1999م.

11- عبد الرحمن بدوي " موسوعة المستشرقين"، دار الفكر العربي، 1996م.

12- عبد العظيم الديب " المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي"، كاب الأمة رقم 27 ، ربيع الثاني 1411هـ.

13- نجم الدين الغالب الكيب " شخصيات من الشرق والغرب "، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1969م.

14- محمد صلاح البنداق " المستشرقون وترجمة القرآن الكريم "، منشورات دار الإيفاء الجديدة، بيروت، 1983م.

15- نجيب العقيقي " المستشرقون"، دار المعارف، 1980م.

المجلات:

1- أنجيليكا نيورث " مجلة فكر وفن"، معهد غوته، ألمانيا، العدد 79، السنة الثانيو والأربعون، 2004م.

2- بريهمات عيسى " الترجمة والتأويل "، المجلة العالمية، المركز الجامعي، الأغواط، العدد01، ماي 2003م.

3-حفناوي يعلي " أثر الترجمة الأدبية في حوار الثقافات "، مجلة التواصل، العدد 120، جوان 2004م.

4- شعيب مقنونيف " مجلة المصطلح "، العدد 01، 2002م.

المراجع الأجنبية:

1- Dictionnaire Encyclopédique, AUZOU,2005.

2- La Littérateur Algérienne, Jean Dejeux, 1979.

3- Dictionnaire Historique De La Langue Française, Le Robert,1992.

4- Le Petit Larousse, 2005.

5- Dictionnaire De La Langue Française, Le Lettre Hachette, 2001.

دعاء
إهداء
شكر
مقدمة أ
مدخل: مفاهيم عامة 11
الفصل الأول: مسار ودوافع الاستشراق 23
تعريف الاستشراق 25
التعريف اللغوي 26
التعريف الاصطلاحي 28
دوافع الاستشراق 31
الفصل الثاني: مراحل الاستشراق وأهم مدارسه 38
مراحل الاستشراق 39
أهم المدارس 51
الفصل الثالث: علاقة المدرسة الفرنسية بالثقافة العربية 58
تاريخ العلاقة الثقافية بين فرنسا والعالم العربي 60
كراسي اللغات الشرقية والمكتبات الفرنسية 65
المجلات والدوريات 74
أهم المستشرقين الفرنسيين 79
خاتمة 87
قائمة المصادر والمراجع 90
الفهرس